

الشاطىء البعيد

روايــــه

عبد الباسط أحمد

تقديم

دكتور / يسرى العزب

مطبوعات الفجـر
تصدر عن جماعة الفجر الأدبية بالقاهرة

المشرف على التحرير
دكتور يسري العزب

المراسلات باسم: المشرف على التحرير
الجيزة - أرض اللواء - فيصل
١١ ش محمد منصور
تليفاكس ٥٧٠٢٢٤٢

لوحة الغلاف والرسوم الداخلية
للفنانة منى عوض

الاهــداء

* إلى الذين علموني الحروف
أهدي هذه الكلمات

* إلى الذين يبحثون عن القيم الإنسانية
أهدي إليهم هذه الروايــة

عبد الباسط أحمد

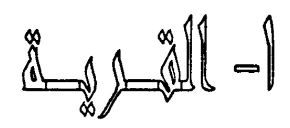
عن الشاطيء البعيد

تقديم بقلم الدكتور يسرى العزب

سعدت بهذه الرواية الجديدة للأخ الأديب الصيدلي/ عبد الباسط أحمد، وهي ثالث ما أقرؤه له خلال عامين.. وقد لمست تطورا مطردا في كتابته.. يصل هذا التطور عبر (الشاطيء البعيد) إلى درجة عالية من الخبرة الأدبية.. فيقدم لنا رواية محكمة البناء تقع أحداثها بين زمانين عاشهما سعد مسعود، الماضي والحاضر.. الصبا والشباب.. وبين مكانين عاش فيهما البطل، القرية والمدينة.. التي تمتد من القاهرة إلى روما عبر رفيق الصبا حامد عز ورفيقة الشباب منال مندور.. بينما يبقى المكان الأول، قرية الداير البحري ثابتا متمسكا ببراءته وطهارته لتبقى العودة إلى الأصل.. الجذور.. الوطن.. هي الحل الحتمي لكل المشكلات المعقدة في أحداث الرواية.

دكتور يسرى العزب

٢٠٠٥/٤/٢٠



في القرية التي تقع على إحدى ضفتي النيل الساحر، والتي تبعد قليلا عن القاهرة، كانوا يلعبون على ضوء القمر، يتسامرون، يلهون بألعاب القرية المسلية (الاستغماية، الحجلة..)، يبارز بعضهم بعضا، يقيمون مسابقات الجري، رفع الأثقال... كانت حياتهم ممتعة، يزهون فيها بقوة الشباب، ويشتمون نسيم القرية العليل. ففي المساء وعند مغيب الشمس، وعندما يتسلل القمر بضوئه الهادئ، وتسرى نسمات الهواء العليل، وتعزف الطبيعة موسيقاها، كانوا يجتمعون خارج القرية في قطعة أرض بور نبتت فيها الأعشاب البرية وخلفهم مياه النيل تلمع كمرآة على ضوء القمر، يملئون صدورهم بنسمات الهواء، ويضحكون ضحكات جماعية مجلجلة يسمعها كل من بالقرية.

سعد مسعود وأحمد عمران وحامد عز مرتبطون نفسيا، لا يكادون يفترقون، يفكرون كأنهم شخص واحد، يمشون معاً، حتى عند خروجهم إلى قطعة الأرض البور عند المساء لابد أن يكونوا معاً. لم يكونوا يتخيلون يوماً سيفرقهم، لم يكن في حساباتهم زمن قادم برياحه العاتية، سيقتلعهم من جذورهم ويبعثرهم في بلاد الله.

سعد متوسط الطول في جسد قوى، ووجه أبيض قليلاً، يملأ جسده كله شعر كثيف، مع عينين تلمعان، وتقاطيع وجه تنم عن رجولة وعضلات مفتولة.. أحمد عمران.. طويل، رفيع، وجهه كأنه وجه أنثى، مع شعر أصفر غزير، وعينان خضراوان،.. حامد عز، طويل وطوله مفرط، لا يتمتع بملاحة. وجهه غليظ كأنه نحت من حجر صوان، مع عينين واسعتين سوداوين وشعر مجعد. سعد عندما يضحك فضحكته متصلة منطلقة لا يستطيع السيطرة عليها.. حامد عز يضحك دفعة دفعة.. أحمد عمران لا تكاد تسمع ضحكته ولكن يمكنك أن تلاحظ اهتزازات جسده.

سعد ميسور الحال بمقاييس أهل القرية، فأبوه يملك محلا للبقالة، أما حامد عز فهو من الفقراء..، أبوه يعمل بالأجرة اليومية ويعول أسرة من أربعة، أحدهم حامد وثلاث

بنات، ولو جلس يوما لا تجد الأسرة قوت يومها. وقيـل إن أبـاه كان يسرق ليطعم هذه الأسرة،... أحمد عمران متوسط الحـال، فقد ترك له أبوه قطعة أرض بالإيجار، يقوم بمساعدة أمـه فـي زراعتها، وتساعد لتدبير متطلبات الحياة، فـهي تعلـف الخـراف وتربي الطيور وتبيعها.

كانوا يقومون بمغامرات للتسـلية وإثبـات الـذات. كـانوا يمشون عن بعد خلف الفتيـات الصغيرات لمسـافات كبـيرة فـي القيلولة وهن راجعات من مدارسهن من غير أن يجرؤ أحدهـم علـى محادثـة الآخر، فالتقـاليد فـي القريـة صارمـة. قـاموا بمغامرة كادت تصبح مهلكة، و سطوا علـى نخلـة أحدهـم ولـم يكونوا يحسبون حسابا لصاحبها الذي يجلـس مختبئـا فـي مكـان قريب، وعندما تسلق حـامد عز النخلـة ليحضـر لـهم الرطـب، وكاد أن يسقط لهم مـا يريـدون، اندفـع صـاحب النخلـة، فـلاذوا بالفرار وظل الرجل ينتظر تحـت نخلتـه متحفزا، إلـى أن نـزل حامد وعرفه على صحبه، كانت ليلة ...!

هم على طرفي نقيض ولكـن تربطـهم احتياجـات كـل منـهم للآخريـن بسلاسل مـن حريـر، فسـعد طمـوح، عنيـد، نرجسي، يحب أن تشير الأصابع إليه، لـذا فـهو يـهتم بمظـهره، يحشر نفسه حشرا بين الناس، يهتم بالجنس الآخر على العكس

من أحمد عمران، فيظهر كأنه أنثى، ولا يشارك صحبه حديثهم عن الجنس الآخر. فكان سعد يحسده على هذه الميزة، ولم يصدق ذلك الهمس الذي يهمس من آن لآخر بأن أحمد عمران (مخنث). أما حامد فهو شخص مدهش، دائما يختار أن يجلس فوق ارتكاز المرجيحة حتى لا تميل، فإن قلت له بإصرار: إن الشمس تشرق من الغرب يبتسم ويومئ برأسه، وإن عدت في نفس اللحظة تقول: إن ما قلته كان خطأ يبتسم ويهز رأسه، ولكنه ليس ضعيفا كحال أحمد عمران، فهو يتمتع بدهاء وذكاء شديدين، في طبيعة ليست تصادمية. وقد همس أحدهم ذات مرة بأن حامد عز به قدر من الشذوذ، وهذا سر التصاقه بأحمد عمران، فلم يصدق سعد، ولم يحاول أن يبحث في كلام كثير يطلقه أهل القرية صباح مساء.

قبل أن تبدأ دراسة الجامعة وقبل أن يتفرقوا جلسوا في قطعة الأرض البور والقمر قد اكتملت استدارته ونسيم آخر الليل في صيف سبتمبر يدغدغ أجسادهم ويحلمون بالمستقبل قال سعد:

- ربما لا نستطيع أن نستمتع بمثل هذا الوقت بعد ذلك.

رد أحمد عمران :

- مش مصدق إننا مش هنتقابل كل يوم.

عقب حامد عز :

- نتقابل في الأجازات.

قرر أحمد عمران أن يكتفي بالالتحاق بأحد المعاهد ويدرس لعامين، ويلتحق بوظيفة، فليس لديه صبر على الدرس، ولا يستطيع مفارقة القرية .وقرر حامد عز الالتحاق بكلية التجارة، وخطط للهجرة عند إتاحة الفرصة. أما سعد فقرر دراسة الصحافة بكلية الإعلام وكان قرار قبوله في هذه الكلية حدثا هاما في تاريخ الأسرة، فقد قرر أبوه الهجرة بالأسرة إلى العاصمة، ولم يكن في الحقيقة التحاقه بهذه الكلية هو السبب الوحيد، فأبوه كان قد قرر منذ زمن ترك القرية لينطلق في عالم جديد، عالم المال الذي كان يمنى نفسه به بعد عمل دام طويلا في بلد نفطي عاد بقدر معقول من المال. أراد أن يجرب بادئ الأمر التجارة في القرية حتى ينهى سعد تعليمه الثانوي، ولم تكن التجارة في القرية مقنعة له، فباع الدكان واشترى بيتا صغيرا بأحد الأحياء الشعبية بالقاهرة وكان أغلب الأسرة مسرورا.

كان سعد سعيدا لأنه سوف يكون صحفيا مثل على الجمل الذي يتمتع عند أهل القرية بقدر من التقدير، وأبوه يرى أن لديه فرصة كبيرة ليعمل بالمقاولات العقارية كي يصبح

مقاولا كبيرا مثل سيد عبد الرازق. أخته سمية كادت تطير من الفرح لأنها ستنطلق بحرية بعيدا عن الأعين الحادة التي ترقب سكناتها وحركاتها. كانت تتخيل أن الحياة في القاهرة هي حياة نجوم السينما والتليفزيون، التي تزين وجوههم الشاشات الفضية. أخوه مراد كان يمني نفسه بالسهر طوال الليل، والمرح كيف يشاء بين بشر لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يعرف بعضهم بعضا. كل الأسرة كان لها خططها، عدا الأم التي كانت حزينة، فلم تكن تريد أن تتخلع من التربة التي نبتت فيها إلى تربة غريبة لا تعرف هل ستمدها بالماء والغذاء أو لا؟

* * * *

٢- القاهرة

انتقلت أسرة سعد إلى الحي الشعبي في هذا البيت المكون من طابقين بكل طابق غرفتان صغيرتان يسكنون هم أحد الطوابق ويسكن آخر اسمه سيد النو مع زوجه الطابق الآخر، فانقبضت قلوبهم من تواضع هذا المسكن، وزاد حزن أمه حتى كادت تبكي.

أبوه كان يتحرك في همة ونشاط مؤكداً لهم أنه سيغير لهم هذا المكان يوماً ما. بمكان أكثر رقياً، فبدأ يفتح محلاً للبقالة في نفس العقار إلى أن يغير نشاطه على مهل ، فخرج سعد إلى كليته وكان يحاول مداراة لكنته الريفية حتى لا يرمقه أحدهم بنظرة تعال ، فكانت الحروف تخرج متداخلة وظنه بعضهم من شمال أفريقيا. وبعد وقت قصير استطاع أن يتقن اللهجة القاهرية، فلم يستطع أحدهم معرفة جذوره وكان راضياً.

فتح سعد الشباك الصغير الذي يطل علـى الشـارع فـإذا بـه وجـهاً لوجـه مـع امـرأة تطلـق شـعرها فـي الـهواء. ترتـدي ملابس خفيفة والمسافة بينه وبينـها قريبـة جداً، فالمنـازل تكـاد تتناطح، وشعر على الفور بـالخجل فـأغلق الشـباك، ونظـر مـن بين فتحاته ليرى ماذا فعلت فلم تفعل شيئاً ولم تتحرك، ولم تهتم بمن فتح الشباك وأغلقـه علـى عجـل، ولا بمـن ينظـر مـن بيـن الثقوب ولكنها فتحت (الفراندة) عن آخرها.

في حديقة الجامعة كان سعد وصحبـه يجلسـون فـرادى وجماعات، يتحدثون في كل الأمور، فـي الـزواج، فـي العمـل، في السياسة. عرف الكثيرين والكثيرات، منهم أحمد سمير الذي أصر يوماً أن يصطحبه في سيارته الفارهة لزيـارة أحـد محالـه التجارية، فقال سعد: لا بأس حتـى أعـرف الفـرق بيـن محالـهم التجاريـة وبيـن محـل أبـي. وعندمـا كـانت السـيارة تنطلـق فـي الشـوارع الهادئــة، بعيـداً عـن الأصـوات ونـداءات سـائقي السـيارات ولعـب الأطفـال فـي الحـارة التـي يسـكنها، والــهواء البـارد داخـل السـيارة يجفـف عـرق الرهبـة. كــان ينظــر مــن السـيارة ويتصنـع التماسـك، وعـدم الانبــهار، وعندمـا أوقـف السيارة أمام المحال التجارية ونزل فتبعه، ودخل بين تـلال مـن البضائع لابد أنها تساوى ملاييـن الجنيـهات ومشـوا والمحـل لا ينتهى، وعند الباب يجلس عدد من الفتيات الجميلات يقمـن بعـد

النقود ويحزمنها في رزم، ويحيين صاحبه عندما يمر بهن، فكان يحسده على كل شئ وخاصة نظراتهن له:

- عجبك؟
- جميل.
- ممكن أعمل لك خصم.
- مكاني بعيد ومش هاقدر أجي.

سعد يفكر في أبيه الذي يجلس بمفرده طول النهار، يدق قدمه بالأرض غضبا إذا لم يشتر منه مشتر، ويجمع آخر الليل، حصيلة ما باع به من النقود القليلة. ثم ركبا السيارة إلى شارع رئيسي فنزل سعد وانطلق أحمد بسرعة، كي يلفت نظر المارة، وعاد سعد إلى البيت.

بعد تردد قرر سعد أن يزور على الجمل، وكان لتردده أسبابه، فهو من عائلة تكن الحقد لعائلة سعد،،.. لا تحب أيا من العائلتين أن يكون أحد أفراد العائلة الأخرى مميزا. تفخر العائلتان بالأعلام عندهما... على الجمل الصحفي... الشيخ مختار مفتش الأوقاف، إبراهيم عبد الصمد، المهندس المشهور بوزارة الإسكان، أما العائلة الأخرى فلديها أناس نالوا حظهم.. لديهم الدكتور محمد عبد الرحمن، وسيد صفوان القارئ الشهير.

مرة قال أحمد بهلول لسعد، وكانا يتجولان حول القرية قبيل الغروب، وكانا يشقان سيقان القمح التي تنعكس عليها أشعة الشمس فتصبح العيدان مع السنابل، مع دعابة النسيم كأنها أمواج من بحر الذهب.

- علي الجمل علي علاقة بكبار رجال الدولة، يعرف رئيس الوزراء.
- أكيد.
- يوم السبت كان منشور له مقال، وكانت صورته منورة.
- ما قريتهوش.

لم يعجب سعداً حديث أحمد بهلول عن على الجمل، فقد كان فيه فخر وتعال، ولم يعجب سعد أحمد بهلول لتجاهله ما يلح به عليه وانصرفا، وكلاهما يلعن الآخر.

تذكر سعد هذه الواقعة وهو في طريقه إلى منزل على الجمل، فهو يريد أن يعرفه بنفسه، يعرفه أنه دخل قسم الصحافة، بعد سنوات سوف يصبح صحفياً وتتساوى بذلك الرؤوس، وكان والسيارة تتحرك ببطء في شوارع القاهرة المزدحمة يفكر في على الجمل. من زمن لم يره، فقد هجر القرية وتزوج من القاهرة. صوته عندما تحدث إليه تليفونياً لم يكن ودوداً، هل غيرته المدينة؟ لم يكن صوته صافياً. فعندما قال له إنه فلان ابن فلان، يريد أن يزوره. في البداية صمت

برهة، ثم رحب به على استحياء.

دق سعد الباب بيده ثم تذكر، فدق جرس الباب، وكان مضطربًا ينظر هنا وهناك، يعدل ملابسه، يمرر يده فوق شعره لتسويته إلى أن فتح الباب ووجد على الجمل كما هو لم تتغير ملامحه كثيرًا عدا بطنه الذي ترهل وشعره الذي سقط، فلم يتبق سوى شعرات متفرقات على استحياء في صحراء الدماغ. مد على يده فمد سعد يده مصافحا ودخلا وجلسا.

- أهلا وسهلا.
- أهلا وسهلا.
- حضرتك فاكرني ، أنا سعد ابن مسعود المناوى أنا فاكر حضرتك
- ما شفتكش قبل كده، أنا سايب البلد من زمان.

كان على الجمل يبدو فاترا، حديثه فيه تعال، كأن سعدا أخطأ بزيارته... لا، بد أن يعرف أنه سيصبح مثله، ربما أفضل. خرج ودخل إلى الصالون وهو يحييه على مضض وأحضر ابنه الشاي والماء المثلج في كأس فاخر وفنجال من الصيني الفخم على صينية فخمة فوق عربة صغيرة يدفعها أمامه. حتى ابنه يبدو أنه لا يرغب في معرفته، فعندما قام سعد باشًا في وجهه في حماس ليسلم عليه، مد يده وسحبها

بسرعة، فلم ييأس. لابد أن يبلغ الرسالة.

- أنا آسف، الظاهر الوقت مش مناسب.
- أبداً، انت أكبر اخواتك؟.
- آه، ودخلت كلية الإعلام، قسم صحافة، وجينا مصر.
- كنت بعدت عن الصحافة، والهم بتاعها، مش أي حد يسلك في الصحافة، الناس فاكراها لعبة.

دق جرس الهاتف فانصرف على الجمل للرد عليه وأنهى سعد شرب الشاي على عجل، لقد كره على الجمل أكثر مما كان يكرهه عن بعد، كره الصحافة التي نفخته حتى كاد أن ينفجر. هل لعلي الجمل مكانة كبيرة في الجريدة التي يعمل فيها؟ هل عندما أصبح مثله سوف أصاب بجنون العظمة؟ وعاد يرحب به هذا الترحيب الروتيني. لقد عرفه عن قرب، هو نفسه كما حدثه عنه أبوه، واستأذن وانصرف مع كلمات لا معنى لها ودعوته له أن يكرر الزيارة وبالطبع لن يفعل.

- مع السلامة.
- مع السلامة.

نقل سعد ما حدث في الزيارة لأبيه فقال : (ديل الكلب...)، وبعد زمن كان قد هضم المدينة الكبيرة. تعرف على أناس جدد مختلفي المزاج مختلفي الذوق، أغنياء وفقراء، جهلة ومثقفين، وكان قراره أن يكون سعد مسعود الصحفي.

* * * *

٣- القريـــة

زار سعد القرية فقابل أحمد عمران وكان حزينا لوفـاة أمه فحدثه طويلا عن الحياة التي يعيشها وشكواه منذ بدأ العمل فور تخرجه وراتبه الذي لا يكفي وقبل أن يستطرد اقترح سعد أن يلتقيا عند قطعة الأرض البـور ويتحدثـا كيفما يشاءان، ولكن أحمد عمران أخبره بأن إبراهيم عبد النبـي قد حرث هذه الأرض حتى لا تكـون مرتعـا للمتنطعين حسـب قول ابراهيم، فحزن سـعد و اقـترح الخـروج إلـى أحد الحقـول وسط الزراعات وجلسـوا. كـانوا قـد تقدمـوا فـي السـن، وكلـهم يبحث لنفسه عن طريق.

قـرروا أن يضحكـوا كالمـاضي، ولكـن يبـدو أن هـذه الضحكـات لـم تكـن تخـرج صافيـة. قـالوا (تكاتـا) ، ولكـن الضحكات كانت تخرج باهتة نتاج اهتزازات الأوتار الصوتية.

- الظاهر إننا كبرنا.

- عيب .

- الضحك ما بيجيش غير في الأرض البور.

- والله زمان.

- أمال بعد خمستاشر سنة هاتعمل إيه؟

- أهه جه مفرق الجماعات.

ألقى أحمد بهلول سلاما خشنا وجلس من غير أن يدعوه، عيناه ازدادتا غورا ووجهه ازداد سوادا، كان سعد مضطجعا فاعتدل وقطب وجهه... لابد سيسأله عن علي الجمل، لابد سيمجد له في المهندس إبراهيم عبد الصمد، لابد.. قال مخاطبا سعدا :

- إيه أخبارك وأخبار مصر ؟

- كويس، ما شفتوش من زمان.

- بتسبقني زي ما تكون عارف.

- ابراهيم عبد الصمد بقى وكيل وزارة.

- مبروك.

- انت عيان.

- يا الله بينا، كفاية كده.

قاموا ليتخلصوا منه، وتواعدوا على اللقاء في اليوم التالي وذهب كل إلى داره، فنام سعد ولكنه سمع أصواتا مرتفعة على غير العادة في القرية، وسمع همسا من الشارع وتردد على مسامعه اسم أحمد عمران، فانتفض وقام يستطلع

الأمر، فإذا القرية كلها في حركة، وقابلته جارته نوال التي جمعت القبح كله فهجرها شباب القرية، يبدو أنها كانت تنتظره، فهم بالسؤال وهمت هي بالسلام عليه وضمت يده بين يديها وهي تنظر في كل اتجاه وأنفاسها تخرج وتدخل بسرعة، يسمع دقات قلبها وهى تنظر في كل اتجاه. سعد يريد أن يخلص يده من يديها وهي تضغط بكل ما تستطيع فبهت.

- فيه إيه؟
- باحبك من زمان ومش قادرة أقول لك.
- فيه إيه في البلد؟
- كنت مستنياك لما عرفت إنك جيت.
- إيه الأصوات دي والناس اللي بتجرى؟
- أحسن خليهم مشغولين.

خلص يده من يديها وهرول فهرولت خلفه، وحمد الله أن القرية كلها تهرول وإلا كانت مصيبة. كأنه فأر يهرب من قط جائع، وكأنها أسد جائع يطارد فريسة، فتتبع الناس الذين قادوه إلى منزل أحمد عمران، الذي جلس نصف عار يمسك (بمسدس)، وغريب رزق جاره يمسك (بمسدس)، والناس بينهما كتل من اللحم. فتذكر على الفور ما بينه وبين أحمد عمران ، وحامد عز، عندما كانوا صغارا وقرروا أن يرتبطوا برابطة الدم، فجمعوا دماءهم ووضعوها في إناء ووضعوه فوق

النار فغلى الدم حتى تبخر و أطلقوا علي ذلك قسم الدم، وتعاهدوا على أن يحتفظوا بصداقتهم فلا يفرقهم شئ بحق قسم الدم.

فتقدم سعد إلى أحمد عمران ونظر في وجهه غير مصدق:

- إيه ده وليه أحمد شايل سلاح، هو عنده جرأة كده . ؟
- غريب لبس بدلة الحكومة ،
- فهمت.

غريب رزق عبد الدايم الرقيب بالشرطة، يرى أنه صعد إلى السماء وقبض على نجمة من نجومها والناس تحت قدميه. كانت تصل حكاياته لسعد فهو يدخل القرية بكل زهو، يريد أن يصطف الناس لتحيته ويهرول أقاربه تحية له عند مروره. لقد عين في المباحث في القرية. وفور تعيينه أراد أن يفرض سطوته على الناس الذين بدا على وجوههم الضجر والقلق، فقال أحدهم في عصبية:

- الله يلعن الكلاب.

قال سعد:

- والكلاب إيه دخلها؟

رد آخر موجها اللوم لأحمد عمران:

- موته وريح نفسك.

- على جثتي، لو قتلت غريب فيه.

ثار غريب والناس تحول بينه وبين أحمد عمران وبدأ الشجار من جديد، فوقف سعد وصاح بأعلى صوته وانطلق يلوم كليهما، فتطوع شخص آخر بعد أن انتحى جانبا به وبدأ يقص أزمة أحمد وغريب والكلب بصوت عال :

- أحمد عنده كلب من سلالة نادرة بيحبه.

قاطعه سعد :

- عارفه، ياما كان بيقطع من أكله ويرمى له.
- أحسن حاجة يقتله والا ياخده في مكان بعيد ويسيبه ويهرب، عشان المشكلة تتحل.

تدخل أحدهم وكان يقف بجوارهم :

- الكلب زكى وهياخد باله وييجي وراه.

رد آخر:

- عندي فكرة تخلصنا من الكلب :
- قول ، عايزين نخلص من الحكاية دي.
- نجمع له كلاب البلد ونعملها معركة، والكلاب هم اللي هايخلصوا عليه، وتبقى معركة كلاب ونخلص منه.

يتدخل آخر مسفها هذه الفكرة :

- نفرض إنه غلبهم، نبقى خسرنا الكلاب وهو هيشوف نفسه، وهيحتفل بيه صاحبه احتفال الفاتحين ويعز عليه يموته... لا،لا.

- يا أخي ليه نفرض كده، هو هيقدر على كلاب البلد كلها ؟ !
مش ممكن.
- يقدر.
- ما يقدرش.
- تعالوا نجرب.
- تخريف.
- أرجوك حافظ على ملافظك.
- يلعن ..
- يلعن ..

تقاربت الأيدي وبدأ الاشتباك، و كانت معركة بين اثنين، أصبحت جماعية. انضمت جماعة إلى أخرى، وانضمت عائلة لأخرى وكان العراك بالأيدي تحول إلى عراك بالعصي ثم كاد أن يتحول إلى قتال بالأسلحة النارية. المخلصون أمثال سعد يتدخلون، ضعاف الأجسام داستهم الأقدام وبعد جهد ووقت انتهت معركة الكلب والقرية إلى عداوات، وأصبح الناس يتربص بعضهم ببعض، فقد خلفت هذه المعركة مرارات وانقسمت القرية أحزابا ولم تحل مشكلة الكلب.

جرى غريب ليبلغ السلطات ويتهم أحمد عمران بأنه سبب الفتنة، بالطبع لم يقل إن السبب هو الكلب في حضور

قياداته، وتم التحقيق وانتهى بالصلح.

أصبح غريب شديد الحساسية، لا يستطيع أن ينام والعصافير تزقزق، يصيبه الضجر إذا نهق حمار، يصاب بالجنون إذا نبح كلب وهذا ما حدث معه وبدأ أحمد يروى له قصة الكلب:

- انت عارف إني باحب تربية الكلاب والكلب ده بالذات له في نفسي حب خاص، وحبيته أكتر بعد وفاة المرحومة، هو اللي بيونسني في الليل، وفي الغيط، وهو اللي أنقذ حياتي.
- الكلب؟!
- أيوه.

في ليلة غاب فيها القمر وسكن الليل إلا من نقيق الضفادع و بعض الحشرات وهي تصدر أصواتها، اضطررت أن أظل بمفردي في (غيط الرمان)... تعرفه أنت وتعرف أنه قريب من الجبل وكانت مياه الري ستنقطع غدا وعلى أن أبيت لأروى الأرض وإلا تعرض المحصول للتلف. لا تعرف أنني أخاف من الجبل ويهتز جسدي ويرتعد من الظلام الموحش بالليل، ولم يكن معي سوى عصا كبيرة ويرقد بجانبي هذا الكلب الشجاع بعد أن أغدقت عليه في عشائه. فأهديته قطعة

لحم من نصيبي ونـام كأنـه ينتظـر مهمـة جسيمة وكنـت أسلى نفسي وأبعث فيها الطمأنينـة بالغنـاء بصـوت منخفض والمياه تتسلل إلى الحقل من ماكينـة الـري التـي يبعث صـدى صوتـها الرهبة، وكنت أنظر جهة الشمال لأستأنس بالقريـة البعيدة ولـم أدر إلا وأيد غريبة تتسلل في هـذا الظـلام وتطبق علـى رقبتـي وتحاول أيد أخرى تكبيلي وتغلق فمي كي لا أطلب النجدة. ليس لدى القدرة علـى الصيـاح، ليس لـدى القـوة لأقـاوم، كـل هـذه الأيـدي والأجسـام. هـم أكـثر مـن ثلاثـة، لـم أسـتطع أن أمـيز وجوههم، كأنهم أشباح وهم يمارسون عملهم في حرفية شديدة، اريد أن أستنجد بمددي الوحيد، الذي أثقـل معدتـه الأكـل الدسـم وامتدت أيد مدربة فأوقفت الماكينة، وهنـا استيقظ الكلـب، كـان قد نام بعيدا عنـي وعـن الماكينـة فـي منطقـة منخفضـة، وعلـى الفور وجدته ينظر إلى وأنا مكبـل اليديـن والرجليـن وفـي فمـي قطعة من قماش. نبح بعنف ولم يهربوا، وسمعت أحدهم يقـول: أقتلـه، فحـاولت أن أقـوم، أن أفـك نفسـي دون جـدوى. اسـتعد الكلب للمعركة، صوب أحدهم البندقية ولكن الكلب ظـل ينـاور وقفز على الرجل فأوقعه قبل أن يتمكن من إطـلاق الرصـاص، فقام وصوب ثانية، وفي اللحظة التي ظن أن الكلب فـي مرمـى الهدف، كان الكلب قد قفـز عليـه ومـلأ فمـه مـن لحمـه وأطـاح

بالبندقية بعيدا، وملأني حماسا فحاولت ولم أستطع. ترك الآخر الماكينة التي كان يريد جرها وصوب إليه (مسدسه) فأخطأت الرصاصة مع مناورة الكلب وردد صوت الرصاصة في الأرجاء. أصبحت حرب مسلحين مع كلب مقاتل، إلى أن لاحت سيارة بأضوائها من بعيد واقتربت ففر هؤلاء اللصوص. ونظرت إليه فإذا هو مصاب في إحدى رجليه واقترب مني وعيناه تلمعان، كأنه فرح بأنني لم أصب بسوء، كأنه يستعذب القتال من أجلي وعندما فك أحدهم وثاقي في الصباح الباكر، كان الكلب يئن من الألم فحملته وعالجته.

- الله على الوفاء..!

- لو حد حكى لي ما كنتش صدقت، وعاوزني أموته ؟!

- عندك حق.

ظل أحمد عمران وغريب والكلب كل منهم لم يغير موقفه، فالكلب ينبح مؤديا وظيفته، وغريب يتربص بأحمد لأنه تجرأ وأشهر سلاحا في وجهه، وكان غريب مستاء من أهل القرية وما حدث فيها فقد ضاع عليه اتهام أحمد عمران بالتعرض لرجل أمن وفيها ما فيها من عقوبات. قال سعد :

- تعالى نفكر في مشكلة الكلب، لا نقتله ولا غريب يلاقي حجة يشكيك.

- إزاي ؟
- نحبسه في أوضة بالليل.
- لو موتناه أحسن له.
- نسيبه براحته ونقفل بقه.
- لو حبسناه أفضل.
- بيع البيت ده وشوف لك بيت بعيد عن غريب.
- أسيب بيتي عشانه ؟
- عشان الكلب وعشانك.

دخل سعد وأحمد عمران في جدل وكاد الكلب يتسبب في تعكير صداقتهما ولكنهما لم يريدا أن يخسر أي منهما الآخر فصمتا والمشكلة قائمة والقرية كلها تتحدث عن هذا الكلب. وقبل أن يسافر سعد غير الموضوع بالسؤال عن حامد عز الدين الذي سافر مهاجرا فلم يكن لدى أحمد عمران أخبار عنه ولكن عند وصوله القاهرة، وجد خطابا من رفيق الدم حامد عز.

* * * *

٤- اسطنبول

صديقي العزيز سعد/٠٠٠

تحية طيبة

تحياتي إليك من اسطنبول وأشواقي ... فتساءل سعد: ما الذي قذف به إلى هناك ؟ كان ينوى السفر إلى روما أو باريس على أية حال لنر ما يقوله وأكمل القراءة ... الحارة أبعثها إليك من هنا، حيث وصلت منذ يومين والثلوج تغطى المدينة، الناس هنا يخرجون لأعمالهم رغم هذه البرودة في الطقس، لقد غيرت خطتي بعد الخديعة التي تعرضت لها من أخ صديقي محمد الصاوي الذي كنت أعتمد عليه في السفر لروما. فقد تنكر في شخص آخر اسمه باسم صديق... موضوع مضحك...

قبل السفر كان صديقي محمد الصاوي قد حدثني كثيرا عن أخيه الذي يقيم في دولة خليجية منذ وقت طويل وأنه صاحب علاقات طيبة هناك ومتشعبة، وأقسم لي ونحن نسير في الشارع بعد الغروب و نتسلى بالمشهيات والمسليات أننا لو ذهبنا إلى هناك فسيستطيع بلا شك أن يدفع بنا إلى أوروبا وشجعني أنه ذاهب معي يدا بيد ورجلا برجل، ولكنه أخلف الميعاد ونحن على موعد عند السفينة التي ستقلنا، واتصل بي وأخبرني أنه لن يسافر لظروف خاصة جدا ولم يزد وحفاظا على الصداقة أعطاني عنوان أخيه إبراهيم وألح على أن أذهب إليه وسأرى ماذا سيحدث وطمأنني أنه سيلحق بي حتما في روما بعد حل مشكلته وسنلتقي حتما هناك.

وصلت ولم يكن في ذهني سوى إبراهيم الصاوي ... كنت خائفا وأنا أسأل عن العنوان إلى أن وصلت فأحسست بالطمأنينة، ودهشت عندما أشار لي أحدهم إلى بيت متواضع للغاية ، بابه من الخشب الردئ، وبدأت أحس بعدم الاطمئنان.. هل الرجل الذي يسكن هذا المكان له نفوذ وعلاقات مؤثرة؟ فتح أحدهم الباب، ملامحه مصرية خالصة. أسمر طويل، ذو لحية متوسطة يرتدى (شورت) مع (تي شيرت) فسألته عن إبراهيم الصاوي فأشار إلى أنه موجود في

الطابق العلوي، فصعدت ولم أجد إلا شخصا واحدا تـأكدت أنـه إبراهيم الصاوي من اللحظة الأولى، فملامح وجهه هي ملامـح وجه محمد الصاوي، شعره المجعد ووجهه المستطيل... الشيء الـذي يفرقـهما أن إبراهيم الصـاوي نحيل الجسم بينمـا محمـد الصاوي ضخم الجسم. كل هذه الانطباعـات لحظـة أن فتـح لـي الباب وقد بدوت ودودا ولكنه بدا باردا وعرفتـه بنفسـي وبـأنني صديق مقرب من أخيه محمـد، وأخرجـت صـورة فوتوغرافيـة التقطت لنا ونحن نتبادل الابتسـام والـود، فابتسـم ابتسـامة ميتـة ودعاني إلى الدخول إلى هـذه الغرفة التي تبدو فيها الأشياء كما لو كانت قد استقرت على راحتها، لم تمتد إليها يد لتجبرها على النظام.. أثاث غير مرتب، بقايا كراس قديمـة، المـلاءات عليـها العرق كـأن المياه قد جفت من هـذا المـنزل. الأحذيـة بجـوار الطعام، مع مبرد صحراوي يئن ويبعث رذاذا يسبب القلق.

- محمد أخوك بيسلم عليك.
- محمد مين ؟ ما ليش حد اسمه محمد.
- أنا باسم صديق وما أعرفش محمد الصادق.
- أنا ممكن اشتغل، وجايب معاي فلـوس، ومحمـد كـان قـال إنه هيلحق ...
- أنا ما اعرفش حد اسمه محمد، أنا باسم صديق.

أصبت بخيبة أمل فصمت أفكر ما الذي يمكن أن أفعله، فتصنع الكرم وقام بعمل الشاي، ولم أرد أن أسأله ولم يرد هو أن يتركني إلا بعد شرب الشاي، وكان على أن أودعه فودعته بفتور وخرجت وليس لدي خطة محددة لما سأفعل سوى أنني أريد أن أسافر إلى إيطاليا.

قابلت في محطة الباص شابا مصريا تبدو عليه الجدية وهو يحمل حقيبته وعندما جلست بجواره وكنت مستغرقا في التفكير سألني من أين وإلى أين؟ فأجبته من أين ولم أعرف إلى أين، فتقرب إلى وكان ودودا.. إنه من هؤلاء الناس الذين يجيدون فن الاختراق فهو يحدثك برفق. فتارة يبتسم ، وتارة يفكر وهو صامت ثم حدثني عن نفسه ودخل بلا توقف ليقص لي أدق خصوصياته وعرفني أنه طالب بالهندسة وأخرج لي صورة خطيبته التي كان يحبها لدرجة العشق ولكنها صدمته بماضيها غير المشرف، وكاد يبكى وهو يقص هذه الحكاية عند وصوله إلى لحظة اكتشاف أنها كانت على علاقة آثمة بشخص لا ينتمي إلى ملتها أوهمها أنه سيدخل في دينها ولم يصدق، وعرفني أنه قرر ترك مدينته إثر هذا الحادث وهو ذاهب إلى دولة مجاورة فسألته :

- فيه إيه هناك؟

- شغل.

حكيت له قصتي كلها وطموحي وحيرتي، فاقترح أن أرافقه وبعد تردد قبلت لعلي من هناك أستطيع الذهاب إلى روما ولم يسألني حتى عن اسمي وافترقنا في ميدان المدينة الكبير ولم أكن أعرف إلى أين سأذهب؟ أرجو أن يكون لديك الوقت لقراءة خطابي الطويل.

- لدي...

وبدأ سعد يكمل القراءة بعد أن قام وصنع كوبا من الشاي .

... نزلت متسكعا أبحث عن الناس، كل الناس هنا لا أعرفهم، أبحث عنهم وفيهم، أدقق في وجوههم، أنظر تارة أخرى في واجهات المحال التجارية حاملاً حقيبتي فوق ظهري إلى أن اقتربت منه، يبدو أنه مصري الملامح، كأنه من أبناء الدلتا بوجهه الأبيض وجسده النحيل وهو يبيع السجائر فوق رصيف أحد الشوارع وعندما اقتربت منه بذكاء قال:

- مصري؟

- أيوه.

- جديد؟

- أيوه.

لم يغير جلسته وتابع أحد المارة يعرض عليه بضاعته بإلحاح وبذكاء، بابتسامة مع دعابة وعندما مر الرجل ولم يعره اهتماما انقلبت دعابته إلى غضب وهو يلعن هذا الرجل وكنت قد وقفت ووضعت حقيبتي المحشوة بالملابس القديمة بجوار بائع السجائر فنظر إليَ وعيناه تلمعان، نظر إلى من أعلى إلى أسفل ولم يعلق، ولم أفهم لماذا ينظر إليّ هكذا، وتمتم بكلمات:

- ينفع.
- مين اللي ينفع، وفي إيه؟

لم يرد ولكنه ابتسم وجمع بضاعته وقام وأشار إلى لأتبعه، ومن حارة لأخرى دخلنا بيتاً يبدو عليه القدم من ثلاثة أدوار، قال ونحن نقترب من البيت وندخل: في الدور الأول تسكن أسرة صاحب البيت. أم في الستين أو تزيد، الابن الأكبر في الثلاثين،الأخت الكبرى أرملة، الصغرى في الثامنة عشرة، البنتان تشبهان القمر ودهشت من هذا الجمال، فأردت أن أقف، ولكن الرجل أمرني أن أتبعه، فصعدنا إلى الطابق الأعلى وسمعت المرأة العجوز تصيح بصوت مرتفع:

- عبده ... ماكو ضيوف.
- على عيني.
- لا تقول طيب وتصعد ادفع عشر دنانير.

- حاضر وأنا نازل.

عرفت اسمه من المرأة، ومددت يدي في جيبي وأخرجت النقود التي طلبتها وكنا قد صعدنا الدرج إلى الدور الثاني فقبض على النقود ولم يعلق. والطابق الثاني من غرفتين أبوابهما من الخشب الضعيف، صالة كبيرة بها أثاث متهالك. فطالعتني الوجوه المصرية التي أنهكها العمل. بسمرة الوجه، واحتراق البشرة من شدة الشمس.

وقدمني عبده لهؤلاء، فمنهم من رحب على مضض، ومنهم من صمت. بعضهم كان يفترش الأرض. أحدهم يبدو عليه الحزم ينام على سرير. اثنان يلعبان (الطاولة)، لقد بدت لي هذه الغرفة التي حشر فيها هذا العدد كأنها إحدى غرف سجن كبير، وتخيلت نفسي محشورا بينهم، قدماي في وجوه الآخرين، ولم أستوعب الموقف بعد، حتى هم عبده بالانصراف وألمح إلى أنه يريدني بعد أن أستريح وخرج.

- أستريح ازاي في مكان زي ده ؟

حاولت أن أكون بشوشا خفيف الظل وبدأت أفتح حوارات ، حدثتهم عن مصر ، فمنهم من غمغم ومنهم من ترحم قلت:

- اسمي حامد عز الدين، من قرية الداير

- ايه اللي جابك هنا.؟
- واحد قابلني في محطة السيارات أقنعني.
- غلطان.

الوحيد الذي بدأ يعرفني أسراره هو هذا الرجل، صاحب العين الزائغة والجسد المتوسط، الذي يطلق لحيته، الأسمر الوجه، إبراهيم البحيري.. هكذا قال بعد أن ألححت عليه في السؤال وعندما لاحظ انقباضي من الصدمة التي صدمها لي، استطرد:

- لو عارف إن الحال هيوصل بي كده ما كنتش جيت، أنا اتورطت. أنا هنا من خمس سنين، في البيت ده، لما جيت كنت فاكر إن الفلوس بيلموها من فوق الأرض، بعد ما ودعت بهية ووعدتها بالفلوس ، كنا متجوزين من سنة واحدة، وما كانش عاجبنا مستوى الحياة البسيطة. شوية في القاهرة وشوية في اسكندرية ، كنا عاوزين نبقى زي الناس التانية، تلاجة، وغسالة و تليفزيون، وفيديو، نسهر بالليل قدامه وننام للضحى، ويا دوب كنت أعرف في المعمار وتصليح كاوتش العربيات، وجيت هنا عشان أجيب فلوس، ولما ما لقيتش فلوس و ما عرفتش أوفر

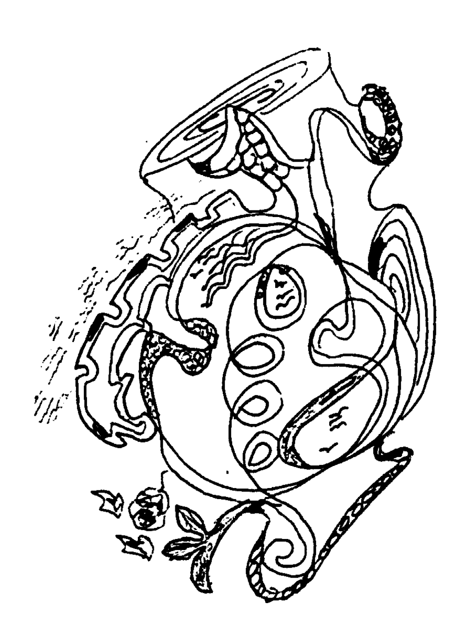
حاجة، حسيت بالندم.. وكنت هـاموت لمـا قـرروا يودونـي الجبهة وما أنقذتنيش غير عيني، لما اكتشفها ظابط كبير.

- وما رجعتش ليه ؟
- إزاي
- إنت مش عارف حاجة، نام وبعدين نتكلم.

مـددت جسـدي بعد أن اسـتأذنت منـهم ونمـت بحذائـي وثيابي التي أرتديها ، والعجيب أنني نمـت بعمـق ولـم توقظنـي الأرجل التي تصدمنــي مـن آن لآخـر، ولا الضوضـاء المنبعثـة من الراديو، ولا دقات (زهــر الطاولـة) التـي يدقـها اثنـان فـي ركن من الغرفة.

صديقي العزيز سوف أوافيك بأحداث هامـة حدثـت لـي حتى جئت إلى هنا فماريا تدق الباب وتصيح.

أخوك/ حامد



٥- القاهرة

ه انضم سعد إلى جماعة الشمس المشرقة الثقافية في السنة الثالثة، فقد كان يكتب الشعر العامي وتعرف على حمدي عبد الرؤوف الذي يعزف على البيانو، والذي تحمل لهجته الساخرة، ومظهره البوهيمي طبيعة شخص منطلق في الحياة مع بساطة وقدر من التفاؤل. عرف أيضا أيمن السقا، الطويل النحيل، ذا الشارب الرفيع والضحكة المنفلتة، ابن العائلة الثرية، الذي كانوا يصفونه ب (دونجوان الدفعة)، فلا تراه إلا وهو يتحدث مع زميلة، أو يودع أخرى أو يستقبل ثالثة أو يضاحك رابعة، وهو عازف ماهر على (الأورج)، متعهد حفلات الكلية. عرف أيضا جمال عبدالناصر، أسمر البشرة في جسد ممتلئ، قروى، فيه طباع فلاح لم يحاول الذوبان في المدينة، ينطق الحروف كما هي في قريته، حمدي عبد الرؤوف يسخر منه بأن يكرر بعض العبارات خلفه فيضحكهم، ولكن ما كان يدهش سعدا، هو

هذه الفتاة ذات العينين حادتي النظرات، الواسعتين، خمرية البشرة، ذات الجسد المشدود، الرشيق ... منال مندور التي تأتي أحيانا بسيارة صغيرة، وفي أحيان أخرى تودع سائقا مهيبا يرتدى ملابس أنيقة، كان ينظر إليها في البداية نظرة حقد ويقنع نفسه أنه أفضل منها ويحاول أن يتعالى عليها، فيبدو جاداً حاداً، إلى أن فاجأته وهي تجلس في الصف الأول وهم يجهزون حفلة بمسرح الكلية.

منال تنظر إليه وهي صامتة نظرات حادة جريئة اعتادها منها قبل ذلك، هو الآخر كان ينظر إليها بحقد كلما مر بها في فناء الكلية وهي تضحك أو تقوم بتقليد أحدهم. كان يظن أنه المقصود بهذه الضحكات، فقد كان يستكثر على أيمن وصحبه هذه العلاقات الاجتماعية المنفتحة على الجنس الآخر التي لا يستطيع أن يقوم بمثلها ومع هذه الفتاة صاحبة السيارات التي تبدلها مثل الفساتين.

عندما اقترب ونظرت إليه نظرتها الحادة، ذاب خجلا وجلس بجوارها حيث يؤدي حمدي عبد الرؤوف (وصلة عزف) على البيانو وكان يجلس في الصف الأول هو ومنال مندور. وزملاء وزميلتان والكل مشغول بالعزف لإجراء (بروفات) للحفل القادم، وعندما انتهى حمدي من العزف ظلت تصفق بلا توقف بينما نظر إليها سعد في دهشة وقال لا

إراديا:
- خلاص ، كفاية ... وحش جداً.
دهشت منال من الحدة التي بدا عليها سعد، وتوقف كل من بالمسرح فضحك أيمن السقا وصعد على خشبة المسرح وقال:
- أخونا سعد عضو جماعة الشمس الجديد، زجال ولا يعجبه العجب، قل لنا يا حبيبي وحش ليه ؟
بدا الارتباك على سعد ولم يجد ما يقوله، وحاول أن يقول شيئا، وقد أحس بالحرج من اندفاعه، فقد كان يريد أن يقول لمنال مندور لا.. قالها ولكن هذه المرة وضعته في حرج فكل من بالمسرح يريد أن يسمع ردا من سعد، فلم يجد كلاما وبدت حبات العرق فوق جبينه فقال منفعلا :
- مش عاجباني وخلاص ، كلها غم.
ردت منال مندور بصوت عال أشعره بالغيظ :
- حد يقول على الفن الراقي غم ؟!
ولكن أحدهم صفق بيديه بصوت عال لينهي هذا الخلاف ويتجاوز الموقف، وطلب أن تستمر التدريبات بينما جلس كل من سعد ومنال دون حديث، وراح يلوم نفسه على هذا الاندفاع، و هذه الغيرة من منال التي ليس لها ذنب فيما وجدت نفسها فيه، وقرر أن يعتذر لمنال عند نهاية البروفة،

فقدمه زميل ليقول شعرا، فقال وصفقت له كما صفقت لحمدي من قبل، فقابلها عند باب المسرح وهم منصرفون فاعتذر لها وقبلت.

بدأ يذوب في الجماعة وتقرب من منال مندور، وتعلق بها وتعلقت به، كانت نظرات عينيها الجريئتين تنفذان إلى قلبه، كان يوهم نفسه والآخرين أن كل ما يجمعهم هو الزمالة لا غير. منال وسعد، كلاهما عنيد، يتمسك بآرائه ويدافع عنها. هي تريد أن تقنعه بقوة شخصيتها وهو يريد أن يبدو صاحب الرأي الصحيح، فكانت بينهما جولات من الخصام أثارت تعليقات الزملاء والزميلات. قلبه يخفق متى يراها ولكنه يعاند نفسه عندما يختلي بغرفته ليكبح جماحها ويبرر أنه ليس لها وهي ليست له. فهي ثرية إلى حد البزخ وهو متوسط الحال أو دون المتوسط، هي تسكن بمنطقة راقية وهو يسكن حارة عبده بمنطقة شعبية، هو عنيد وهى عنيدة ثم إنها لم تفصح له عن شئ يعلق عليه الآمال، كل ما في الأمر أنهما عضوان بجماعة الشمس، وزملاء بكلية الإعلام، قسم الصحافة ، وسيتخرجان ويذهب كل لحاله وتبقى الذكريات، لا يريد أن يكون مثل حسين عبد الغني ابن خالته الذي تزوج من امرأة أعلى منه في المستوى المادي والثقافي، فقلبت حياته نكدا. يقول الناس عنه إنه لا يستطيع حتى شراء (ساندوتش) من غير أن تأذن له، هي

غير راضية. يتذكر دائما ما حكاه له صديقه سيد فرغلي عندما زار حسين عبد الغني فوجد حاله لا يسر وحكى حكاية يغتم لها سعد كلما تذكرها، ويضعها نصب عينيه، لقد أذاع له سرا، بأن زوجته ليست مقتنعة به كزوج وعندما دهش سعد من صديقه، قال له اسمع :

- كنت باتردد على بيت حسين لمصلحة . مرة رحت أدور عليه وما كانش موجود فأذنت لي زوجته في الدخول، رفضت في الأول، بس أصرت وقالت إنه راجع على طول. وقالت لي بعد ما قدمت لي مشروب:
- كل اللي شفتهم من قرايب حسين طول بعرض اشمعنى هو؟
- حسين أطيب واحد وحظك حلو إنك إتجوزتيه.
- أعمل إيه بالطيبة!

كلما اقتربت منه، كلما حاولت أن تفاتحه في شيء، هرب وسأل نفسه، ماذا مع منال مندور كزوجة؟ امرأة جميلة، ثرية، متفتحة، ذكية، جريئة، سليطة اللسان. لا، لا .. لا يصلح، ولكن قلبه لم يكن يريد كل هذه الأسئلة، ولا يريد أن يصدقها. بدا بالرغم من تحفظه أكثر رغبة في أن يتحدث إليها، كانت عيناها الجريئتان الواسعتان تبدوان أكثر جمالا مع قليل من الكحل، كأنها نفرتيتي في هيئة أوروبية. فكان يتعمد أن

يـأتي مبكـرا، وينتظرهـا عندمـــا تدخـل، فــهي منضبطــة فــي المواعيد. بالضبط قبل المحـاضرة بربـع سـاعة، يـرى السـيارة تقف أمام الباب، بعدها بدقيقتين تكون داخل المدرج.

قبل أن يتعرف عليها في حفل الأسرة كان يتابعــها عـن بعد، ويكتفي بنظرة إليها وكأن وجوده في طريقها صدفـة، كـان يحاول أن يغير المكان الذي ينتظرها فيه حتى لا تشـك فـي أنـه يطاردها، وهـو يحس بنظراتها له، كأنها تريد أن تقول له شيئا، ولكن كبرياءه وخجلـه يمنعانـه مـن الحديـث إليـها. وهـي أيضـا تبادلـه الإحسـاس ذاتـه. هـذه المـرة يستطيع أن يتحـدث إليــها بحرية وبعد فترة من التعارف، كـان يحـرص بشـكل مفتعـل أن يكون بين الأصدقاء، الذيـن يـثرثرون فـي أمـور شـتى، المـهم أنهم يقفون ويتحدثون. أيمـن يضحـك بصـوت مرتفـع، وحمـدي عبد الرؤوف يطلق (النكات) واحدة تلو الأخرى، ومنال منـدور تعلق بذكاء وتنتقد هذه (النكتة) وتطلق بعض (النكات) .

انفـرد سـعد بـها ذات يـوم ودعاهـا لتنـاول عصـير فلـم ترفـض. كـان يريـد أن يتحـدث إليـها ويحسـم الأمـر ولكنـه لـم يستطع فجلسا على طاولة في كافتيريا الجامعة ولم يجد الكلمات قالت:

- قل عاوز إيه.

- ما فيش.

- أقوم أمشى ؟
- ما فيش حاجة لله؟!
- لو متأكدة إنك بتعمل لله كنت ها أشكرك.
- شوف يا سيدي إنت عاوز تقول كذا، كذا، ... وأنا با أقول لك موافقة . إشمعنى لما تتكلم في الثقافة أو السياسة تنطلق زي الرصاصة؟.

استمرت علاقته بها بين شد ودفع، فهام بها وهامت به ولكنه كان خائفا، كان يخشى أن يكون حسين عبد الغني. كلما رآها قوية خاف وقرر أن يقطع هذا الخيط الحريري بينهما، ولكنه لا يستطيع فيعود ويقارن بينها وبين زوجة حسين عبدالغني. فهي تبدو أمام الناس كأنها ملاك وتختار كلماتها بعناية شديدة، ولكن ما خفي كان أعظم، وما يسمعه عنها ينفي هذه الوداعة. كان يعرف أيضا زوجة صلاح الديك في قريته والتي ليست خارج الشبهات، تبدو طبيعية وهي محتشمة لم تخرج على ما ألفت القرية ولكن عليها علامات استفهام كثيرة، فكان حائرا. وذات مرة انفرد بأيمن السقا وضاحكه وقال له:

- إيه رأيك في منال مندور؟

قهقه وقال :

- اشمعنى انا ؟
- بصفتك دون جوان زي ما بيقولوا ...

- بيقولوا ... ما تصدقش.
- إنت مش قدها.
- يعنى شايفنى اتجوزتها؟ أهه سـؤال، والا نبقـى فـي جماعـة واحدة ما يعرفش حد عن التانى حاجة؟.
- أحسن ما تعرفش حاجة، كـل واحـد لـه طبيعتـه يعنـي مثـلا الزملاء مسمييتك (المقفول) وأنا باتعامل معـاك كـده، وبعـد الكلية يمكن نتصاحب ويمكن لأ.

ضحك أيمـن ضحكتـه المجلجلـة المميـزة وكـان بعـض الزملاء قادمين فانتهى الحوار، مع قدوم هؤلاء ولـم يسـتفد مـن هذا الحوار الذي جهز له مـن قبـل، وهـو فـي الحقيقـة لـم يكـن يريد أن يعرف رأيه في منال ولكنـه كـان يريـد أن يؤكـد لنفسـه أن اختيـاره موفـق. وذهـب بعدهـا يسـأل صديقـه سـيد فرغلـي سؤالا:

- الواحـد لمـا يتجـوز يختـار ازاي ؟ متفتحـة، غنيـة تعـرف تتكلم وتقول اللي في نفسها والا يختارها أقل منه؟
- الست لازم تبقى أقـل مـن الراجـل فـي كـل حاجـة،أو علـى الأقل في مستواه.
- ممكن تكون غنية، ومثقفة وتكون كويسة.
- استثناء.. وليه ندور على الاستثناء ؟

كل شئ يقول له: لا، إلا قلبه الذي يدق ومع كل دقة

يقول نعم. هو يتخيل أن قلبه مع كل دقة يقول: (منال) واقتنع بذلك. هي أيضا بدأت تتعلق به فعرف أن قلبه لا يكذب. عرف أنها متمردة على الحياة التي تعيشها، عرف أنها تتمنى رجلا مثله يقول: لا. عرف عنها الكثير، عندما اقترب منها.

* * *

كان سعد على موعد مع الأصدقاء والصديقات في حديقة شهيرة وكان الجو لطيفا، انطلقت ضحكات مفتعلة مصنوعة، ليس لها طعم. فكان يقارن بين هذه الضحكات وتلك. في القرية كانت الضحكات تطهر نفسه من الهم، أما هنا فالضحكات مفتعلة.. مشوا بين الورود والزهور مع أنغام الطيور وكان سعد هو الوحيد الذي يرتدى زيا رسميا.

قال حمدى عبد الرؤوف :

- شوفوا يا جماعة، اللي عاوز يبقى صحفي يلبس بدلة وكرافتة زي سعد، من غير كدة النقابة مش هتعترف بيه.

ضحكوا فضحك سعد حتى احمر وجهه واندفعت منال مندور في عصبية تلوم حمدي عبدالرؤوف وتامر محمود على هذا الأسلوب الساخر، وكانت كمن يود أن يشتبك معهما بالأيدى، فأصيب الجميع بصدمة وصمت الكل وتبادلوا النظرات، وفي هذه اللحظة قالت عزة بكرى:

- لازم تعرفوا إن فيه اتفاقيات دفاع مشترك بين الدول، والواضح أن حلف سعد مندور لن يسكت على توجيه أي ضربات لأحد من أعضائه. فضحكوا بينما خجلت منال.

سعد يود أن يتبين مدى حماسهم للعمل وما هي خطتهم بعد أن تخرجوا، فعرف من حمدي عبد الرؤوف أن أمه تعمل سكرتيرة في جريدة وبالطبع ستعين حمدي فيها. أما عزة بكري فستعمل في جريدة بها أحد أقارب أبيها، ومنال يعمل أبوها السفير السابق على تعيينها في السلك الدبلوماسي. وبقى سعد.. الوحيد الذي عليه أن يشق طريقه بلا وساطات. وقضوا ليلة ممتعة تحدثوا فيها وضحكوا، ومرحوا وعادوا إلى منازلهم وقد استلقى سعد على سريره يفكر فيما سيفعل... هل سيكون مضطرا للذهاب إلى على الجمل ليساعده في دخول بلاط صاحبة الجلالة، أو يغامر ويقاتل وما سيكون يكون ؟ وبعد تفكر وحسابات، عرف أن على الجمل لن يساعده أبدا، بل سيعوقه لو رآه يتقدم، فهو لا يريد أن يكون أحد في مكانته، فلماذا يساعد من هم مثله ؟ ما الذي سيعود عليه ؟ فكان قراره أن يطرق الأبواب لعلها تفتح له فدق جرس الهاتف :

- ألو.

- ازيك يا سعد ..، يا رب ما تكونش زعلت.

- أبدا، ما كانش لازم تتعبي وتتصلي...

- يعني ما شفتهمش بيقولوا إيه؟
- عاوزاك.
- بكرة ٨ بالليل، كويس؟
- مع السلامة، تصبحي على خير.

في الكازينو الذي جلسا فيه قبل ذلك، كانت تنتظر من الثامنة إلا ربعا، وصل وهو يرتدى الكرافت وقميصا أبيض على (بنطلون) أسود، ولم ينس أن يضع عطرًا فانشرح صدرها عندما رأته وقالت كلمة ،وللمرة الأولى منذ عرفها تقول كلمة لم يكن يتوقعها منها:

- عايزة أعيش زي الناس، عايزة أكسر الملل.
- مجنونة.
- أحلى حاجة الجنان ، يا الله نتجوز جبت معاي أجرة المأذون.
- ده دليل قوى على ...
- لو كنت عاقل مش هاتجوزك، شباب عاقل ما ينفعش.
- وأبوكى ؟
- عمرى اتنين وعشرين سنة.
- الناس ها يقولوا إيه ؟
- أنا خريجة جامعة ...
- والعادات والتقاليد؟

- أكبر غلط، شاب في العشرينات مش قادر ياخد قرار خاص بيه خايف من العادات والتقاليد.

كما هي منال مندور، لا تزال بكل تفكيرها، وبكل تحررها الذي أثار الجدل حول شخصيتها. بعضهم رماها بالشذوذ وابتعد عنها، بعضهم كانت تدهشه بحركتها وتحررها وذكائها، ولم تكن تتصنع الجمال، ولكن لا تستطيع أن تنسى فيها الأنثى، ولا يغيب عنك فيها الرجل، أحيانا تذوب رقة وعذوبة، وأخرى كأنها نمرة من صلب ولا يعرف سعد ما الذي جعلها تتعلق به هكذا فكان الوحيد الذي يقول لها: **قفي .. فتقف.** كان من آن لآخر يستخدم ألفاظا قاسية، يهاجمها في عنف وأمام الناس وتبادله هي هذا العنف ولكن في النهاية يجدها تمعن النظر في وجهه طويلا بعد كل مباراة يظنها المرة الأخيرة، ولكن هي التي تتقرب إليه وكأن شيئا لم يكن، ذات مرة سألها:

- ليه ؟
- لأنك مختلف.
- أعصابي بتفلت؟
- باحب حد يزعق لي ، عمر ما حد زعق لي ، بابا بيتدخل بصوت هادي ، نفسي يزعق والا يضربني، ما فيش حد حسيت بيه غيرك.

- يبقى طارق رضوان صادق لما قال عنك...

كان سعد مندهشا من هذا المنطق الغريب، وقد انتوى أن يكون هذا الموضوع الشائك هو الذي سيقدم به نفسه كصحفي، فأخذ عينات من النساء والرجال وسألهم بعفوية وخصوصية، ما الذي تريده المرأة من الرجل ؟ (الفحولة- الرقة – الطيبة – الغنى...) إجابات الرجال على الترتيب ... الجمال ، الأدب ، ثم الغنى وكذلك الأدب ثم الأدب ثم ... لم يقل أحدهم إنه يريدها متحررة، منطلقة.. كل هذا دار في رأسه وهي تنظر في وجهه مثبتة مرفقيها فوق المنضدة.

- رحت فين ؟
- افتكرت حاجات قديمة.
- ما قلتليش هتتجوزني والا لأ ؟
- لو ما كنتش عارفك.
- في الغرب عارفين هم عاوزين إيه.
- الشباب هنا بيعتمدوا على الأسرة حتى في التفكير، عشان كده المجتمعات الشرقية هتفضل عجوزة. لأنها مبنية على أفكار عجوزة.
- صح.
- واحد صاحب بابا بيدلل ابنه وهو عنده خمسة وعشرين سنة ، جوزه وصرف عليه لما خلص تعليم وبعدين كمل

عليه بجوازة، وما بقاش فيه حاجة للراجل اللي عدى الستين وكمان بيجرى عشان يوظفه، يجرى إيه لو ما اتجوزش؟

- لازم الآباء يساعدوا أولادهم.
- مين قال الكلام ده؟
- لما نتجوز مش هنخلف غير بعد خمس سنين.
- زي ما يكون اتجوزنا!!
- ليه لأ ؟
- عايز شوية وقت.

قاما وقد قارب الليل على الانتصاف، كأنه في حلم، أما هي فقد ودعته وانصرفت، وعند البيت سلمه أبوه خطابا فألقاه بجانبه وسرح فيما حدث، وقال لنفسه: سأقرأ هذا الخطاب في الصباح، عندما انتهى من التفكير في هذه المشكلة، وتمدد لينام.

واستيقظ نشيطا وهو يشرب الشاي فدق جرس الهاتف:

- آلو.
- صح النوم، لسه صاحي؟
- من شوية.
- تعالى، فيه خبر كويس... منتظرك على القهوة.

جاء صوت عماد القماش عبر الهاتف صافيا واستنتج منه الهدوء الذي قليلا ما يراه عليه، فكثيرا ما يثور لأتفه

الأسباب . محمد القماش من أقرب الناس إلى سعد فهو ريح عاتية، ينقلب إلى ريح طيبة عند الهدوء. نزلا وجلسا ووجده سعد متفائلا هذا اليوم، لقد وفي بالوعد، الذي قطعاه سويا. كلاهما يبحث للآخر عن عمل.

- الأستاذ أحمد يحيى قبل نشتغل في الجرنان.
- أحمد يحيى بنفسه ؟
- أيوه، وعاوز مقالات، وهيشوف.
- عندى ريبورتاج مدهش.
- بتاع الستات والرجالة ؟ لا . لا.
- إيه رأيك في الطبقة المعدمة؟
- كويس.
- عايز الكلام ده إمتى؟
- ما حددش وقت.

فرح سعد وشكر محمد القماش وسرح في الموضوعات التي لم تعالج بشكل جيد في الصحافة، ما الجديد الذي إن قدمه، يقبله الناس؟ واستأذن صديقه عمادا وانصرف على وعد باللقاء عند ما يتم هذه المهمة، وراح يجتر كل ما قرأ، فلم يجد شيئا لم يتناوله أحد، فوقع في حيرة شديدة، وظل على هذه الحال فترة طويلة يكتب رؤوس مواضيع ويمزقها، قال:

- لأجرب طريقة أخرى ربما أصطاد بها أخبارا.

على الطاولة المجاورة لسعد يجلس رجلان متقدمان في السن، يرتدى أحدهما نظارة سميكة وملابس أنيقة والآخر يرتدي غطاء رأس أفغاني ويبدو عليه الوقار، وبين تردد وحيرة وخجل قام يستأذنهما في الجلوس، فأشار إليه أحدهما بود وجلس وهو يرتب أوراقه.

* * *

- أنا سعد مسعود، صحفي جديد، وعاوز أكتب تحقيق يقبله رئيس التحرير.
- أحمد محمود.. مدير بوزارة المالية سابقا:
- أنا شايف الجديد هو سوق المال، لأنه متغير يومي.
- سيد عبد الله .. ناظر مدرسة سابقا:
- التعليم هو الجديد كل يوم تدخل ناس وتخرج ناس، كل يوم علم جديد، أو معلومة جديدة.

انتقل إلى طاولة أخرى يجلس عليها بعض عمال البناء، يضع كل منهم أدواته بجواره ويتبادلون الضحكات، فبالرغم من الوجوه الجافة. التي خلت من اللحم والشحم، إلا أن روح الأمل والرضا ظاهرة عليهم وقبل أن يجلس قال:

- سعد مسعود ... صحفي.
- أهلا وسهلا.

- عاوز اكتب مقال عن عمال البنا، وإيه الجديد عندهم؟.

رد أحدهم مستنكرا:

- إحنا عندنا جديد ؟!

قال العامل وهو يحكم قبضته على (الشيشة) ويميل إلى الخلف من شدة الضحك:

- عايز تكتب عن ناس مش لاقية تاكل، أنا النهاردة غسلت هدومي، هو ده الجديد.

ضحك وضحكوا وسعد، ثم عنفه آخر وقال:

- خليك مؤدب مع الأستاذ.

- أنا مؤدب ، إحنا ما عندناش جديد، نهارنا على باب الله، وليلنا إما حكاوي أو نايمين.

كان سعد يسجل كل كلمة يقولها أي شخص بأي أسلوب، مهما بدا بسيطا، مقتنعا بأن الحقيقة في التفاصيل، وفي الأشياء البسيطة التي يتوهم الناس أن لا قيمة لها. كان يردد دوما أن العفوية ثقافة، مختلفة عن ثقافة الصالونات الفاخرة بأحاديثها المنمقة التي تتخللها بعض الكلمات الأجنبية.

قال صاحب العينين اللامعتين :

- الطمع بقى ظاهرة، البركة اتنزعت من الأرض، ربنا بيعاقبنا.

- قديمة.

- الجديد إنها بقت عيني عينك.

- يا عمى إحنا عندنا حاجة نطمع فيها، ما فيش غير الستر.

كتب سعد كل هذا وأضاف رؤيته وتحليله مع التدخل البسيط ليعلو بمستوى الحوار. وجمع هذه التحقيقات وذهب إلى الجريدة، وعندما صعد كان قلبه يدق، وبدأ العرق يتصبب من كل جسده، عيناه لا تثبتان، ويتخيل أن ترفض مقالاته وتحقيقاته أو يطالبوه بالتعديل، الحذف أو الإضافة وعند الباب قابل العاملين فسألوه:

- على فين ؟

- الأستاذ أحمد يحيى. أنا سعد مسعود الصحفي.

بلا اهتمام أجابه أحدهم مرحبا وعلى وجهه سخرية وعطف في آن واحد، وأمره بالجلوس ودخل وخرج له برسالة من الأستاذ أحمد يحيى مفادها أن يترك أوراقه وينتظر الرد، ورجا الرجل في مقابلته ولكنه اعتذر بأنه مشغول، وكان المبنى يضج بالناس. هل هؤلاء جميعا صحفيون؟ أين يذهب مبتدئ مثلي؟ ونزل محبطا، وعاد إلى البيت ولم يعرف ماذا حدث مع عماد القماش، هل ذهب وترك أوراقه مثله؟ وارتمى على سريره إلى أن دق جرس الهاتف.

- آلو.

- إنت لسه نايم ؟

- خير؟.

- إنت فين؟

صمت سعد برهة ولم يعلق. لم يقل لها ما حدث، لم يشرح لها أسباب ضيقه، وكانت على الجانب الآخر صامتة ويبدو عليها التأثر، ثم انطلقت في البكاء الذي أدهشه. كان حائرا وظل يرجوها أن تحكى له سبب هذا البكاء، ولم تقل له سوى كلمة واحدة:

- بابا.

- ماله ؟

- وقع وجاله شلل وهو في المستشفي.

انقطع بكاؤها وانقطع صوتها وأغلق الهاتف.

* * *

في المستشفي الفاخر وجد سعد نفسه يصافحها منكس الرأس، هي المرة الأولى التي يبدو فيها عطوفا، وكانت هي لينة ضعيفة، فكلاهما في هذا اليوم أصبح إنسانا، بدت له روحها شفافة، عيناها فيهما بريق وانكسار، شبح الموت الذي يرفرف على هذا المستشفي كسر كبرياءهما، وكان المشهد مختلفا عما قبل، فكان يقارن بين هذا المستشفي وذاك الذي مات فيه عمه. الناس هناك يائسة والحزن قاتم، حزن يغلفه الجهل والفقر والخوف من الحاجة، أما هنا فالأشياء واضحة

وكل شئ محسوب، لذا تبدو أحزان الموت رمادية. هي لم تكـن تتخيل أن لديه قدرا من الإنسانية يساوى ما لديه من عـزة نفس وإباء، فكانت فرحة بقدومه. ملامحها اليـوم أكثر وضوحـا من ذي قبل، ليست كما كان يراها ، الحزن كسا وجهها فتدفـق الـدم فيه وجعل منها أنثى أخرى.

- إيه الأخبار ؟
- زي ما انت شايف، الحالة صعبة.
- الدكاترة قالوا ايه ؟
- وصوا بسفره للخارج .
- إن شاء الله خير.

أم منال تجلس هناك في ركن هادئ، وثيابها لم تتكسر، تضـع الأصبـاغ علـى وجهـها، عـرف سـعد أنـها مطلقــة، ومتزوجة من ضابط كبير وقد جاءت لتشد أزر ابنتها. ليس وفـاء للسنين التـي قضتـها مـع هـذا النـائم بـلا حـراك، فـوق السرير. بدت غير مهتمة، وهـى تتحدث فـي التليفون، فـهي تؤدي واجبا وستنطلق ، وقد جاء الفرج من الطبيب وهو يعلـن أن الحالة الآن مستقرة فاستأذنت مهرولة وهي تودع ابنتها التي لـم تندهش، ولـم تبد اعتراضـا ودعت سـعدا أن يتبعـها هـي الأخرى وخرجا من المستشـفي. يـا لـهذا البرود الإنسـاني؟ لـو حدث هذا في الحي الذي يسكنه سعد لما نام كل الأقارب، كـان

أهل سعد ينحشرون رجالا ونساء في غرفة عمه قبل وفاته حتى لم يستطع العاملون في المستشفي طردهم، والنساء اللاتي يأتين مجاملات يملأن الغرفة بالضجيج.. كاد سعد يؤنبها وهي تتقدم تاركة أباها، على ما هو عليه، قال :

- مش كان حد يفضل جنبه؟
- هيعمل له إيه؟ الدكاترة شايفين شغلهم.
- بس..

ركبا سيارتها وقد عرفها أن أول ميدان بعد المستشفي به سيارات أجرة تمر بالقرب من داره، فقادت في صمت وكأنها لم تسمع حتى دغدغ الهواء البارد عظامه وكان الوقت شهر سبتمبر وجاء الميدان ولم توقف السيارة.

- هنا.
- إنت ها تسيبنى النهاردة ؟
- وهاعمل إيه ؟
- بات معاي، أنا قلقانة قوى.
- مش باين.
- يعنى أبكى؟ وبعدين... ألبس أسود، هانخففه؟
- ما أقدرش أبات عندك.
- إنت هتبات في أودة، وأنا في أودة، ما احناش صغيرين، والا نجيب حد يحرسنا؟

السيارة تتحرك بسرعة، و بـالرغم مـن بـرودة الهـواء بالسيارة، فإنـها خلعـت حذاءهـا، وفتحـت قميصـها وسـرحت بفكرهـا والسيارة تنطلـق بسـرعة، وقد انتابـه القلـق مـن هـذه التصرفات غير المنطقية فنبهها لذلـك ولـم تـرد عليـه. يبدو أن حزنها بالفعل بدأ يضغط علـى أعصابـها، فسـرحت، وأسـرعت معها السيارة، قالت :

- بتخاف من الموت ؟
- الأعمار بيد الله .
- أنا عمري ما خفت من الموت.

كظم سعد دهشته ولم يرد، فلو كان الوقت مناسـبا لقـال كل ما في نفسه، كان سيقول : أنت بلا قلـب، بـلا عقـل، بـلا .. ونزلا أمام قصر فخم فـي أفخـر الأحيـاء، وناما حتـى الصبـاح واستأذن في الانصراف على وعد باتصال تليفوني.

* * * *

٦- روما

فتح سعد الخطاب الذي تلقاه بالأمس عند وصوله إلى المنزل.

صديقي العزيز ٠٠ (بوناسيرا)

أكتب إليك من روما، فقد وصلت منذ يومين بعد رحلة عذاب .. هل لديك وقت لتقرأ خطابا مكتوبا بخط صغير ردئ؟ لو لم يكن لديك وقت فأجله إلى الوقت الذي تريده. ولكن رأيت أن أقص عليك بإيجاز رحلة العذاب، حتى تعرف كم عانيت وأعاني الآن، لن يفيدك بالطبع هذا في شئ، ولكنه بالنسبة لي سيقطع الوقت فأنا أشعر بوحدة قاتلة.

في الخطاب السابق قلت لك إن هذا المدعو عبده الأعرج، بائع السجائر، أوصلني إلى جماعة مصرية تعمل في الخليج العربي وتحدثت مع إبراهيم البحيرى، صاحب العين اليسرى الزائغة واللحية المتوسطة وفتح لي قلبه وحكى حكايته فقال:

- كنا في بيت ، في حتة شعبية، وبالليل رن الجرس، فتح واحد الباب نزلت علينا الشرطة، كنا خمسة وقال ظابط كبير... هاتوهم.

أخذونا بتهمة الاعتداء على صاحبة المنزل وهي سيدة سليطة اللسان تعدت الستين، وليس بها من النساء سوى الاسم، وهناك لم ينظر هذا الضابط إلى وجوهنا، ووجدنا أنفسنا نرتدي ملابس عسكرية ويعهد بنا لمدرب يدربنا على القتال، ولم أكن قادرا على هذا فركبتي تعاني تيبسا، وعرفنا أنها أيام قليلة وسيقذف بنا إلى الجبهة، ولكن بعد عذاب دام ثلاثة أشهر أنقذني ضابط كبير وهو يتفقد الوحدات التي ستغادر إلى خطوط المواجهة الأمامية وقد رأي عيني التي أنقذتني فكتب على الاستمارة (تحت الطلب) وها أنا إلى الآن تحت الطلب، أعمل يوما وأنام يوما.

أقلقتني قصة إبراهيم البحيري وبدأت أفكر في موقف مشابه فأنا في سن تسمح بتجنيدي ورحت أفكر في الكلمة التي قالها بائع السجائر.

- ينفع.

طمأنني بعضهم بأن هذا لا يحدث على الدوام، وبعد منتصف الليل لم أكن قد استغرقت في النوم وأنا أفكر، فوجدت الجنود يدهسون الأجسام بأحذيتهم فاستيقظنا مذعورين

واقتادوني إلى مكان مجهول. وهناك أحضروا لي بائع السجائر ليغسل لي مخي ويقنعني بالانخراط في الجيش، لقاء ما يتمتع به أبناء البلد أنفسهم ونصحني أن أقبل هذا العرض، وإلا فلن أحصل على شئ وسيدفع بي إلى الجبهة، وقبلت وتظاهرت بالرضا فدبرت خطة الهروب إلى دولة مجاورة وتدربت بقسوة على الأسلحة بكافة أشكالها كجندي صاعقة، وكنت أسهر الليل لأخطط وأسأل عن أقرب الطرق من الحدود بشكل لا يلفت الانتباه، وكان أمامي تحد كبير في إتقان لهجة جندي خليجي واستطعت ذلك خلال وقت قصير، وعزمت على الهروب وقد سرقت بندقية صغيرة وقنبلة يدوية خبأتهما في ثيابي وتسللت، حيث ابتعدت عن وحدة الحراسة وارتديت الملابس المدنية وهربت، إلى أن وصلت إلى الحدود وهنا المشكلة؛ فكان على أن أستخدم كل فكرة من الخطة فلبست ملابسي العسكرية التي كنت قد بدلتها عند خروجي من الوحدة، وعند تبديل الخفرات دخلت كأني حارس وهربت إلى دولة مجاورة، ومنها تسللت إلى اسطنبول وكانت نقودي قد نفدت.

في اسطنبول، الوجوه أغلبها تشبه وجوهنا، لا هي غربية ولا شرقية، إنما غربية في ملاءة شرقية. قاتلت كي أحصل على عمل وتنقلت من مكان لمكان في الزراعة، حتى

حصلت على عمل في بار، وكنت أقضي ليلى بين السكارى ولا أخفي عليك انبهاري بهذا العالم المختلف في البداية. أن تعيش مع بشر فقدوا عقولهم وتعروا من الداخل يمتعك، ويقززك في نفس الوقت، حتى رماني أحدهم ببقايا الخمر في وجهي، فتركت البار ورحت أبحث عن عمل من جديد فقابلت ساش أربكان وهو رجل في الأربعين، تلمح في عينيه الذكاء وتأنس إليه، يتحدث الإنجليزية، عرفني من ملامحي المصرية الخالصة وقال : إنه زار مصر وأعجب بها وأجر لي غرفة بفندق في وسط اسطنبول كانت مرضية للغاية، وطمأنني بوجود عمل لي بعيدا عن أعين الشرطة وطلب منى بعد أن أغراني بالمال الوفير وبأنه ربما في وقت لاحق سوف يساعدني في السفر إلى روما. تخيل ما هو العمل الذي كان يطلبه مني؟ كان يريد لي أن أكون (قوادا).

- لا أجيد هذا، فأنا من الريف.
- يجب أن تتعلم.
- لا أستطيع.
- هذا هو المتاح ، نسبة من الربح عن كل زبون.

لم أستطع الرفض يا صديقي لسببين، الأول هو أنني أحتاج لمقومات الحياة، والثاني دفعتني إليه الرغبة في معرفة هذا العالم الغريب الذي كنت أسمع عنه، ولم أره في قرية

الداير البحري، ولكن قلة إنتاجي من الرؤوس أغضب ساشا فطردني فقررت أن أغامر وأتسلل إلى روما.

صديقي العزيز سعد ...

لقد افتقدتك، وافتقدت الأصدقاء وقطعة الأرض البور والضحك والمرح والسطو على النخيل في الليالي المعتمة، أريد أن أكمل لك. فأنا الآن أعيش عزلة حقيقية ولم أتكيف مع المدينة الغريبة عليّ، واللغة تمثل عائقاً كبيراً، ولكن الآن الساعة الرابعة فجراً ولدي عمل يبدأ في السادسة في مطعم متواضع ، وسوف أواصل الكتابة إليك على أمل أن توافيني بأخبارك، وأخبار الأحباب، كما أرجوك أن تعطر لي هذا الخطاب ببعض تراب قرية الداير البحري، وإن لم تسافر ففي أي بقعة من مصر.

أخوك / حامد عز
روما فجراً



٧- القريـــة

القريـة كلـها تتحـدث عـن أحمـد عمـران والكلـب وغريـب، المجـالس تعقد وتفض وهـي تتـاقش هـذا الأمـر. ويبـدو أن الكلـب أحس بـالتحدي فـزاد نباحـه بـالليل وعلـى النقيض مـن طبيعـة غريـب فقد زادت حساسـته للأصوات المزعجة، ولم يمـهل غريـب أحـدا لإيجـاد حل لـهذه القضية يرضي الطرفين فبادر على الفور وقدم بلاغـا للشـرطة يطالب فيه بإعدام هذا الكلب الذي ينبح طوال الليل ممـا يعوقـه عن التصنت ، فهو يرق أذنيه لكـل همسـة مـن همسـات النـاس في القرية كـي ينقلـها لرؤسـائه. ولكـن هـذا الكلـب يعطـل عليـه عمله، ثم إن هـذا الكلب كما قال في بلاغه، كلـب متوحش، قـد يكون مصـابا بالسعار، وليس لـه ترخيـص مـن مصلحـة الطـب البيطري.

- وهل كل الكلاب لها تراخيص؟.

- كل الكلاب لحالها ما عداه.

فجاء الجندي صائد الكلاب المكلف من مصلحة الطب البيطري لقتل الكلب رميا بالرصاص، ولـم يكن أحمد عمـران موجوداً. فصوب الجندي المدرب إليه فأخطأته الرصاصة وأصابته فقط وقفز جريا، وجن جنون الجندي الذي راح يطارد الكلب الذي استطاع الهروب. ولكن غريباً لم يستطع الصمت، فوبخ الجندي واتهمه بالتواطؤ مع صاحب الكلب. وحضر أحمد عمران، فرأى ما رأى وهزه ما رأي...

الناس كلها تتحدث عن الكلب الذي قلب القرية وأقلق راحتها. بعض الناس بدأ يهمس بأن هذا الكلب ليس كلبا حقيقياً ولكنه جان، وانتشرت هذه الحكاية، وبدأ الأطفال يخافون من الكلب الجني، وبدأت الأمهات يخوفن أبناءهن به.

أقسم أحمد عمـران أنه سينتقم من غريب جراء ما اقترف تجاه الكلب البرئ، وأقسم غريب أنه سيقتل هذا الكلب مهما حدث. وانفض الجمع والقرية على موعد مع مواجهة أخرى بين غريب وأحمد عمران، وكان أحمد عمران يخشى إن تعرض لغريب أمام الناس بالقول أو الفعل فسيشهدون ضده، وأصبح همه كيف يتخلص من غريب ؟ كيف يقصيه من

هذه الوظيفة التي جعلته ينقلب عليه وعلى الكلب، فكتب ذات مرة إحدى شكاواه:

** الموضوع هو غريب ابن رزق، الذي كان جده يعمل (سقا) وهو يعرف أنني أعرف ذلك لذا يريد أن ينتقم مني عندما أصبح مخبر القرية، يريد أن يثبت للناس أنه أصبح الآن شيئا هاما، يريد أن يعرف الناس أنه يستطيع أن يكمم حتى أفواه الكلاب إن أراد. لقد رأيته بعيني بالأمس يحاول أن يطلق النار على يمامة حطت فوق شجرة قريبة من بيته لأنها تصدر أصواتا للتزاوج... لماذا يريد أن يعتدي على حقوق البشر والحيوانات والطيور..؟ يقول إنه يريد أن تسكت الأصوات في القرية كي يستطيع أن يقوم بعمله ؟ ويدعي أن الناس في القرية لا تتحدث الأسرار الهامة إلا على أصوات الطيور والحيوانات، أو عندما تهب الرياح، لا أعرف ماذا سيفعل مع الرياح، هل سيستطيع إيقاف الرياح من الهبوب؟

سيدي ..

القرية كلها تعرف أن غريباً هذا أمره غريب، وإن كان ولابد أن يكون هناك من يتنصت فلا نمانع على الإطلاق، ولترسلوا إلينا أي غريب آخر.

بدأ الضابط يستجوب غريباً في شكوى أحمد عمران، فأقسم كذباً ودهاءً أنه لم يطارد أيا من هذه الحيوانات التي ادعى أحمد كذبا أنه يطاردها، وأنه يحب أحمد عمران، وكل أفراد قريته التي قبل أن يعمل فيها مخبراً سريًا وأوعز في خبث إلى أن أحمد عمران كان ... أيام زمان، وعندما حاول الضابط الاستفسار عما كانه أحمد عمران أيام زمان أخذ يغطي إجاباته بإيماءات فهم منها الضابط أنه شئ لا يسر، وعند الضغط عليه قال :

- كان زي أهل لوط .
- مين عرفك ؟ ما تحاولش تتهم من غير دليل ؟ .
- ودي يجيبوا لها دليل إزاي ؟ .
- وليه مستخصمك ؟ .

وصمت غريب ولم يعقب على هذه الإجابة التي تحمل في طياتها كثيراً من المعاني وقرر استدعاء أحمد عمران للتحقيق:

- الاسم : أحمد عمران.
- السن : ثمانية وعشرون عاماً من قرية الداير البحري، موظف.
- ما سبب شكواك ؟

- ما جاء بالشكوى.
- غريب يقول إنه لا يفعل شيئاً مما اتهمته به.
- اقترح تعيين مخبرًا آخر لينقل لكم ما يقوم بـه غريـب حتـى تصدقوه، بشرط أن يكون أميناً.
- وإن لم يكن أمينا.
- نعين آخر.
- هل لا تزال ؟
- ماذا ؟
- كما قال غريب .
- ....

صمت أحمد عمران برهة بعد أن واجهه المحقـق بـهذا الاتهام الخطير وانكسرت عيناه وأحمر وجهه، وكان يحاول أن يتماسك، وهو يداري الحرج، بينما يدق المحقق بقلمه في عجـل لكتابة الرد على السؤال، وهو يصوب نظره إليه في خبث.

- لو قلت لك سراً عن غريب ، تصدقني؟
- قل لي دليل وأصدقك.
- غريب محترف قتل .

انتفض المحقق ووقف في ذهول وخرج على الفور لاستدعاء المأمور ليكون حاضراً عندما يدلى أحمد عمران باعترافه فحضر:

- شفته وهو بيقتل الغريب من سنتين عند الجبل .
- إمتى ؟
- بالليل، آخر أيام الشهر العربي.
- إزاي واخر الشهر بيكون ضلمة؟
- أنا نظري كويس ،على مسئوليتي.
- كان فيه حد معاك ؟
- محمود النجار.
- وما بلغتش ليه؟ و مين محمود النجار؟
- محمود النجار مات، وما بلغتش عشان، كنت شاكك في إن الراجل مات.
- وغريب قتل حد تاني ؟
- مش مصدق من غير دليل.
- وصدقته ليه من غير دليل ؟
- أنا ما صدقتش ، أنا با أحقق.

انصرف أحمد عمران من قسم الشرطة وفي نيته الانتقام من غريب، وغريب هو الآخر يريد أن يتخلص منه،

وليس من كلبه، فقد أصبحت المعركة بين غريب وأحمد عمران، وأصبح أحمد مهموما طوال وقته وأهمل عمله، يفكر في مصيبة يدبرها لغريب. يسهر طوال الليل يكتب الشكاوى، ويحاول أن تكون مبتكرة، يحاول أن يستفز غريبا من وقت لآخر أمام الناس ليجد من يشهد معه. تحول الحمل الوديع أسدًا كاسرًا، وكان يقضي وقته كله بعد عودته من عمله يمرض كلبه من جرحه، ويحبس الكلب في غرفة ،داخل غرفة حتى لا يستطيع أحدهم الوصول إليه، كأنه ابنه يريد له الشفاء . وبسرعة استعاد عافيته، ولكن أحمد عمران بدأ يفقد اتزانه. وقد تعجبت القرية كلها من تبدله بهذا الشكل فقد أصبحت تقاطيع وجهه الدقيقة صارمة، وبدأت تشق الوجه الأبيض الصافي نتوءات رفيعة، واعتزل الناس الذين كانت تربطه بهم علاقات قوية.

قرر أحمد عمران أن يصعد شكاواه إلى مستوى أعلى، عندما عاد ذات ليلة فوجد الكلب الذي كان قد تعافي من إصابته يئن من المرض فجن وقدم بلاغا يتهم فيه غريبا بوضع السم في الطعام للكلب بعد أن كان قد أطلق الكلب ليمارس حياته فور تعافيه، ولم يكن قادراً على التفكير في أسباب أخرى قد تكون السبب. وعندما سأله المحقق : متى ستنتهي من حكاية

الكلب ؟ رد قائلا : عندما ينتهي غريب. ولم يستطع أحمد عمران إقامة الدليل على أن غريباً هو الذي وضع السم للكلب في طعامه، ولم يعرف من الذي وضعه له فمات الكلب وغريب هو المتهم الذي يجب أن يأخذ أحمد عمران منه الثأر، فقد أصبحت حياة الكلب وموته سواء، وأصبحت القرية كلها تلعن هذا الكلب حيا وميتا، فقد دافع أهل أحمد عمران عنه ودافع أهل غريب عنه، هؤلاء اشتروا السلاح وهؤلاء اشتروا السلاح للمعركة المرتقبة.

* * *

كتب غريب لرؤسائه يقول :

- كنت باشوف أخبار البلد بعد نص الليل وأحاول أسمع الناس بيقولوا إيه في البيوت، لعل وعسى الهوا يرمي لي خبر ولما وصلت بيت أحمد عمران وسمعت أحمد بيبكي من قلبه ويقول يا رب انتقم من الأعداء واخرب بيوتهم ... وأنا المقصود طبعا، ما قدرتش أسكت، خبطت الباب عشان أعاتبه في أخويه. ولولا إني في الشرطة كنت اتصرفت بشكل تاني وعاوز آخذ حقي منه، وافكركم بالكلمة اللي قالها "بيوتهم".

كتب أحمد عمران شكوى إلى السلطات الأعلى يقول:

من مواطن فقير جداً فـي قريـة الدايـر البحـري. يـشـكو من مخبر سرى (مفترى) يريد أن يشـعل النـار فـي القريـة كـي يقول الناس إنه ذو سطوة ونفوذ. من المؤكد أنه قـد نمـا لعلمكـم موضوع الكلب وما حدث له من غريب، فقد قتـل الكلـب غـدراً ولم تهتز له شعرة جراء جريمته البشعة. وتقدمت يا سيدي بعدة بلاغات للمركز، أشكو فيها استغلال غريب لوظيفته، فكان يجد من الحيل ما يفلت بها. أرجو أن ينقل هـذا الغريـب مـن القريـة حتى تستقر الأمور ولا مانع مطلقاً من تعيين بديل عنـه، فربمـا كنا متعاونين معه، وأنا بصفـة شـخصية، ومـن أسـتطيع التـأثير عليه سوف نسلم أخبارنا بأمانة لأي بديل آخر وشكراً.

بعد أيام قليلـة كـان تحقيـق رفيـع المسـتوى يجـرى مـع غريب في صمت وبعد سماع الشـهود مـن أهل القريـة قـررت السلطات نقل غريب فكان انتصاراً لأحمد عمـران رفـع مكانتـه في القرية، بعد أن انتقم للكلب ولنفسه، وجاءوا بسيد عبد الحق بديلاً عنه ، وسيد عبد الحق في الأربعين، ضخم الجثـة، أسـمر البشرة، يطلق شاربه الكثيف ويتباهى به، عيناه واسعتان تـدرك للوهلة الأولى على وجهـه الدهـاء. عنيـف الطبـاع حينـاً، رقيـق أحياناً أخرى، يمشي في القريـة يسـلم علـى هذا ويبتسم لـذاك، ويريد أن يكون له شأن.

في جمع من الناس الذين تجمعوا فرحين بنقل غريب ونهاية المآسي، كانوا فرحين لأن سيد عبد الحق ليس من قرية الداير ، ولكنه من المدينة فهو لا يعرف أحداً في القرية ولا يعرفه أحدهم، وبذلك ستنعم القرية بالهدوء، قال :

- أنا زعلان من اللي سمعته، وكان ها يوصل القرية للمشاكل، والحكومة مش عاوزة كده، الحكومة عاوزة الاستقرار والأمن وحماية الناس ، وأنا ضد إن الناس تتحاسب على الهمس اللي يهمسوه، دي ما تبقاش عيشة. وعمرى ما هاعمل عقلي بعقل كلب والا قطة، أنا السنة اللي فاتت، خدت ترقية على حسن خدمتي في قرية (نخلة)، ووعد لو كنتوا زي أهل نخلة ها آخد ترقية تاني.

فصفق الناس فرحين وتساءل أحمد عمران:

- كانوا عاملين إيه أهل نخلة ؟

- بعدين يا أستاذ.

دهش الناس من هذا الغموض الذي يلف به سيد عبد الحق كلامه، فانتابهم القلق ، فقد أرادوا أن يعرفوا كيف كان أهل (نخلة) يتعاملون معه، وضاعت الفرحة وبدأ الناس مرة أخرى يتساءلون... هل هم مثل أهل نخلة أو لا ؟ بعضهم قال:

- أنا حاسس إني زي أهل نخلة.

رد سيد عبد الرحمن الفلاح البسيط :

- لازم نشوف أهل نخلة دول.

تعجب عبد الشافي حمدان وقال :

- نفرض إنهم مش زينا، ها نعمل إيه؟

قال الآخر:

- لازم نبقى زيهم، عشان نتقى شره.

يتدخل مرزوق الأعرج :

- البلد منحوسة، نخلص من غريب وحكايته ييجي لنا سيد و(نخلة).

ذهب سيد عبد الحق ودارت الهمسات في القرية، فالذي لم يؤذ من غريب، كان غاضباً من أحمد عمران ،الذي تسبب في إحضار هذا الرجل الغامض الذي لا يعرفون كيف سيتصرف معهم؟ والذين تحمسوا وفرحوا لإزاحة غريب، بدا عليهم القلق وعلى رأس هؤلاء أحمد عمران، الذي ناقشه سيد عبد الحق وأراده في جهة والآخرين في جهة أخرى، فشكره وعرفه أنه يقدر له هذا التكريم ولكنه لا يريد الظلم الذي ظلمه وكلبه لأحد من أهل القرية، فصمت سيد ولم يعلق.

* * * *



٨- القاهرة

ن

باتصال تليفوني من منال مندور، عرف سعد أنها ستسافر غدا بصحبة أبيها إلى أوروبا طلبا للعلاج فتمنى له الشفاء، وبدأ يفكر فيما سيفعل. ونزل من بيته قاصدا الجريدة . فالتقط العدد الصادر منها هذا الصباح وهو في طريقه من أحد الباعة وقرأ رؤس المواضيع المنشورة، فوجد عنوانا قريبا من الذي سلمه للجريدة، فتوقف عنده، ولكن الكلمات قد تغيرت. كان العنوان الذي سلمه هو (قالت النساء)، فوجد العنوان الآخر (ماذا تقول النساء). وجال بخاطره أنه ربما كتب أحدهم عنوانا قريبا من موضوعه، وانتحى جانبا مستندا على إحدى السيارات ليقرأ، فإذا هو موضوعه، وقد بدلت كلماته. صيغت بشكل مختلف. الابن كتبت إبنا، الرجال كتبت جماعة من الرجال ، وفي النهاية المقال ممهور بتوقيع أحمد يحيى، فكاد يجن.. كيف يفعل هذا؟ كيف يزور وهو رئيس تحرير جريدة اسمها الحرية؟. لقد قرأ

مقالاته وكان مفتوناً به وهو يتحدث عن الصدق والأمانة وقال لنفسه: ربما حدث خطأ عند جمع المادة، وقرر الذهاب ليسال عن كيفية حدوث هذا الخطأ ، بدلا من الذهاب للسؤال عن مواعيد النشر وسيطالب بتصحيحه ووصل وهو ثائر وطلب الدخول فورا إلى رئيس التحرير في أمر هام اضطر لشرحه للسكرتيرة التي ابتسمت لسذاجته وأنكرت وجود احمد يحيى وقالت وهي كاذبة إنه لم يحضر اليوم، وقالت إنها ستخبره عندما يحضر، وتجاهلته في تجهم عندما قال لها إنه سينتظره ، وافتعلت معه مشاجرة ليذهب وبررت ذلك بأن هناك (تعليمات) بمنع الانتظار. فنزل مضطرا على مضض، وجلس على مقهى مقابل لباب هذه الجريدة فإذا أحمد يحيى بعد وقت ينزل على عجل مرتديا نظارة سوداء ولا يعرف أن أحدهم ينتظره، فقابله بخشونة وهو يقطع الشارع، كأن الذي يتبعه هو خادمه، وسعد يقص عليه، وهو يعلق بكلمة واحدة... (توارد خواطر) وأكد له أن الموضوع موضوعه هو، كتبه كلمة كلمة، فصدم سعد وتصبب عرقا، بينما كان الآخر يعبر الشارع لينطلق بسيارته ، فاتصل بعماد القماش الذي حضر وجلسا على المقهى، وكان كمن يريد البكاء، فحاول عماد القماش، تهدئته، وكان يشاركه حزنه وخيبة أمله في أحمد يحيى وقد صدمت أمانيه هو الآخر بالعمل في هذه الجريدة، وعرف سعد أن عماد لم يذهب إلى

هذه الجريدة منذ أن كانا سويا في المرة الأولى، وكان سعد حزينا لفقده أول فرصة للعمل وحزينا لسرقته.

- هاسرب الخبر لجريدة الأمل.
- ما هو غير الكلمات والسياق.
- ولكن الفكرة هي هي .
- هاتثبت إزاي؟ إنت ما سجلتش الفكرة.
- ما كنتش عارف انه حرامي.
- إنسى الموضوع ده ، ودور على حاجة تانية، يا الله نخرج نشم هوا، عشان نخلص من الجو ده، ها أرقصك مع القرود.
- إنت ما تعرفش اللي فيها.
- إيه اللي فيها ؟
- بعدين .

لم يكن مع سعد نقود، ولم يكن يعرف كيف سيتدبر هذه النقود آجلا أو عاجلا، كان كل أمله أن يحصل على مكافأة النشر لكي يتدبر أموره، ولم يكن حال صديقه بأحسن منه إلا أنه دبر لهما نزهة بين القرود والفيلة والطيور. كانا يسيران في حديقة الحيوانات والطقس شديد الحرارة، يستظلان بالأشجار، ويجتران ذكرياتهما، قال سعد:

- ها نعمل إيه ؟

- هانعدي على الجرايد ونسيب شغلنا.
- ولو حصل اللي حصل النهاردة ؟
- مش فارقة معاى، انا هاسيب المهنة.
- ما كنتش فاكر كده قبل التخرج.
- وجالك يوم ...
- فيه إيه، وإيه حكاية حاسيبها بالفعل؟
- نشوف الأول موضوع شغلك وبعدين أحكي لك.

مرا علي جريدة وأخرى وثالثة والكل يعتذر، حتى وصلا إلى جريدة تحت التأسيس اسمها القمر، فرحبت بهما السكرتيرة، و دخلا مكتب صاحب الجريدة وهو نفسه رئيس التحرير، تسبقهما هذه السكرتيرة، ووقف يرحب بهما، فهما أول صحفيين يدخلان عليه، فاستبشرا وقال لهما: يمكنكما العمل من الغد، وقبل أن يحدد لهما مهامهما، بدأ يعرفهما بأن هذه الجريدة لا تزال بعد وليدا، وبعض حديثه تتخلله الابتسامات وتقطعه السكرتيرة ذاهبة آتية، معطرة جو المكتب بعطرها الفواح. عرفهما أنه يريدهما أن يعملا بدون أجر ووعدهما بأنه سيحدد لهما المهام وسيكون راتبهما مجزياً فور دوران العجلة وحدد لهما المهام.

قال لعماد :

- عليك صفحة المرأة.

وقال لسعد:

- وأنت ستحرر صفحة الفن.

ثم قال لسعد إنه يريد كل أسرار الفنانات في كل المجالات، يريد أشياء جديدة تجذب قارئا جديداً قال هذا وهو يشعل سيجارته وكان يريد أن ينبهه إلى أن مستقبله من مستقبل الجريدة:

- كلما ازدادت الأخبار إثارة، كلما ازداد عدد القراء ، كلما ازداد راتبك .

فكان يومىء بالموافقة ولا يعرف كيف سيجمع هذه الأخبار المثيرة؟ لقد تعلم كيف يستنبط الخبر، كيف يصوغه ليصبح جذابا، ولكن كيف يستخرج أخباراً من أصحابها رغما عنهم؟ وخرجا إلى الشارع ورأسه تملؤه الأسئلة، قال لعماد:

- إيه رأيك؟
- لازم تقبل دي فرصة.
- أنا مش شايف إنها فرصة.
- روح ربى مواشي في الداير البحري.
- مش ممكن.
- تعال ناكل جيلاتي بالفلوس الباقية.

انتحيا إلى محل المثلجات واشترى عماد قطعتين، وكان سعد غارقا في التفكير، يحادث نفسه، يرفع يداً ويخفض

أخرى وعماد هو الآخر سرح بفكرة بعيداً، وكان ينظر إليه بلا تعليق وقذفا العلب الفارغة وانصرفا سيرا في الشارع حتى وصلا إلى المكان الذي سيفترقان فيه كل إلى داره، وركب كل إلى الحي الذي يسكن فيه ولم يتذكر سعد الموضوع الذي كان يود أن يسأل عماداً عنه، فدق رأسه بيديه وإذا صوت راديو السيارة الأجرة يبعث له قسراً إحدى الأغنيات الشعبية الصارخة التي لا معنى لها والموسيقى تدق، وصوت المؤدي لا يعرف إن كان نقيقا للضفادع أو مواء قطط، وبعض الناس في السيارة يرددون خلفه في متعة، فمال عليه رجل متقدم في السن، يجلس بجانبه وقال :

- الناس ما بقاش عندها ذوق في السمع، إيه الأغنية دي اللي بيرددوها ؟.

هز سعد رأسه ولم يرد فيئس الرجل من مشاركته الحديث وأسند رأسه إلى الكرسي وانعزل والراديو يواصل بث هذا الصوت السيئ، والسائق يصفق ومعه بعض الراكبين إلى أن وصل إلى الحارة فقابله عند مدخل الحارة سيد النوّ جاره الذي يسكن في الطابق العلوي لمسكنه رجل قارب الخمسين بشعر رأسه الكثيف يحرص بشكل دائم على صباغته باللون الأسود ودهانه بالزيوت، دائماً يبدو مبتسماً ولكنه يحتفظ لنفسه بأسراره الخاصة، كل ما يعرفه عنه منذ سكن هذا البيت أنه

يعمل في صنع التماثيل النحاسية في حي الحسين. يأتي في وقت متأخر من الليل وينزل في وقت مبكر ولا يهتم بأن يعرف أحداً ولا يحب أن تختلط زوجته بأحد، ولا أحد يعرف هل هي بطبعها انطوائية أو أنه هو الذي أجبرها على ذلك. أطلقوا عليه سيد النوّ، لأنه يربي القطط بكثرة وعندما سأله سعد عن سر هذه القطط الكثيرة التي يربيها في منزله، قال : إنها هواية، ولكن عرف الناس أنه يترزق منها، ينتقى سلالات معينة من القطط ويسمنها ويعلن عن بيعها في الجرائد، قال لسعد هذه الأخبار أحمد (المنجد) الذي يحب أن يعرف كل أسرار الحارة وكان فرحاً لأن سعد سيعمل بالصحافة ليزوده بالأخبار.

قال سيد النوّ:

- إنت صحيح يا أستاذ صحفي؟.
- عرفت منين؟
- فين؟ ... عرفت بطريقتى.
- في جريدة القمر.
- بتدفعوا كويس للأخبار؟.
- إزاى ؟
- يعني لو عندي خبر هايزود التوزيع...
- أنا متخصص في الفن... أخبار إيه؟

- لو أنا هاقول ، أمال ها تدفعوا إزاي؟
- عشان أبلغ صاحب الجريدة.
- عن تهريب الآثار.
- أشوف وأرد عليك.

صعد سعد السلم الضيق بمنزله حيث الطابق الثاني، وهو يفكر في هذا الرجل، هل فعلاً سيد النوّ لديه أخبار يساوم عليها؟ دائمًا أحمد المنجد يقول : إن هذا الرجل يخبئ سرًا وكان قلقاً لأنه لم يستطع اكتشافه، وكثيراً ما كان يقول لسعد عندما كان يدرس بالجامعة، إنه سيختبره في أقرب إنسان له ويقصد سيد النوّ وكان سعد يبتسم له ولا يعول على ما يقول لأن كل أهل الحارة لا يحبون طريقته في جمع الأخبار، ويمقتون تدخله الفج في كل صغيرة وكبيرة. وفتح الباب فقابلته أمه والدموع بعينيها، فبهت وراح يطمئن على أبيه، ودخل عليه غرفته، فوجده كسيراً يقترب منه المرض. ولكنه يعرفه، قوى الإرادة، يدارى ما به من ألم ووعده ولم يكن في حاجة إلى هذا بأنه سيصلح خطأه الذي لم يكن قد عرفه بعد، ولما ألح عليه، عرف أن آماله في أن يصبح مقاولاً قد تهاوت بعد الذي حل به في عملية نصب من مقاول كبير، فطيب سعد خاطره، وقال له إنه واثق كل الثقة أنه سيستطيع التعويض وتحقيق آماله حتى دق جرس الهاتف وخرج إلى الصالة الصغيرة

الموضوع بها الهاتف ليرد:

- آلو.
- أنا منال يا سعد باتصل من باريس...
- إزاي بابا ؟
- الحمد لله، الدكاترة قالوا هياخد وقت، وها نرجع بعد أسبوع.
- عايز حاجة؟
- شكراً... مع السلامة.

عاد سعد يخفف عن والديه صدمة فقد المال، وإن كان هو أيضا مصدوما معهما، فهو بلا عمل، بلا مال، ولا يدري ماذا سيفعل إن لم يستطع الحصول على الأخبار التي يريدها صاحب الجريدة، ولكن عليه أن يزف إليهما خبراً سارًا ليعيد إليهما البسمة والأمل. أمه تركت الكرسي وافترشت الأرض وربطت رأسها بقطعة قماش، وأمسكت رأسها بيديها، وأبوه شبه نائم في غرفته مدعيا الإرهاق. نائم نوم قهر وانكسار.

قال وقد غير ملامح وجهه:

- عندي خبر ها يفرحك.
- مين له نفس يفرح؟
- لأ يا ست الكل، ربنا بيقطع من هنا ويوصل من هنا .. لقيت شغل.

قامت فرحة بالفعل وتحولت عيناها من الحزن والانكسار إلي البريق، وملئت مقلتاها بالدموع، كأنه المطر قد غسلهما غسلاً فازدادتا بريقاً ولمعاناً.

- الحمد لله، يا ما إنت كريم يا رب، بكام؟

لم يجب على هذا السؤال وقام يزف هذه البشرى لأبيه، ففتح غرفته فوجده نائمًا، غلبه النعاس، وعاد إلى أمه فوجدها متحفزة لتكرر عليه نفس السؤال ... بكم؟ فقال لها إن المرتب لم يتحدد بعد وهو يرى أنه سيكون مجزياً لصحفي سيصبح من المشاهير، ولم تسأل بعد ذلك، ولكن قدرا من السرور تسلل لنفسها ودخل سعد يحتمي بغرفته التي يستطيع أن يعرى فيها نفسه. يبكي، يحلم، يعاقب نفسه، يرقص إن شاء. فظل ممدداً على فراشه يسأل نفسه السؤال تلو الآخر، ويختبر قدرته على عمله الجديد.

كان يسأل نفسه أي الأماكن يمكن أن يكون مخزنا للأخبار المثيرة التي يريدها صاحب الجريدة ؟ وكان يدرب نفسه عل سيناريوهات مختلفة، بها يستطيع الدخول إلى هذه الأماكن. وكان يقف أمام المرآة ينظر لوجهه، هل ستتغير تعبيراته أو ستثبت على حالها عندما يقابل إحداهن. وكاشف نفسه وفضحها بأن اعترف بأنه بالرغم من ادعائه الشجاعة، فإنه يذوب خجلا عندما يتحدث إلى امرأة للمرة الأولى وعاد

يتذكر المرة الأولى التي حادثته إحدى الزميلات وكانت بالسنة الأولى حيث كسا وجهه العرق وبدت رعشة في كل جسده. فكان يتخيل أن كل العيون ترقبهما، تذكر وقتها أحمد عبادي عندما رأي محمد يوسف يحدث آسيا ابنة أحمد مناع عند مدخل قريته بعد الغروب، حيث قلبت القرية رأسا على عقب وأصبح هذا الموعد حدثا يؤرخ به لأنه كاد يوصل القرية إلى الدم. كان يظن أن الجامعة بها عشرات أحمد عبادي وكلهم يرقبونه وحاول الهروب بأشياء واهية. فدهشت الفتاة من هذا السلوك الذي بدا لها غريبا، فهي لا تعرف أحمد عبادي ولم تقابله.

عقدة أحمد عبادي تطارده كثيراً بالرغم من محاولته التغلب عليها وإظهار نفسه أمام الزملاء والزميلات بأنه يستطيع ويستطيع... عليه قبل أن يقدم على هذا العمل أن يقتل شبح أحمد عبادي الذي يطارده، يمحوه من مخيلته، يقنع نفسه أنه الآن بمدينة تموج بالبشر وليس في قرية الداير، يقنع نفسه بأنه صحفي يجب أن يكون جريئاً، وكان يطمئن نظراً لأن علاقته بمنال مندور تبدو ممتازة ولم يهاجمه شبح أحمد عبادي. كان يتدرب على وضع الأسئلة. مثلا أسئلة المطلقات يجب أن تبدأ بـ هل أنت نادمة على طلاقك؟ ... أسئلة للأرامل، ... للمحترفات، للمبتدئات... كان يحذف ويشطب وينقح إلى أن وصل إلى صيغ مرضية وقال إنه سيبدأ بالمطربة ورد الشرق،

والحكايات تتناثر هنا وهناك عنها وحصل على رقم هاتفها فردت عليه بصوت متكلف:

- آلو، مين ؟

- سعد مسعود الصحفي.

بهدوء وضعت السماعة، فأعاد الرقم فردت الخادمة بصوت أجش ونبرة فيها الغضب ورغبة الانتقام:

- عاوز إيه يا أستاذ؟ الله لا يسينك، إبعد عننا، شوف لك حد تاني، ما صدقنا الست خفت.

كان كاذبا عندما ألح على الخادمة أن تعطيه فرصة الحديث مع المطربة، فقد أفهمها أنه قادم لصالحها ويرغب في مساعدتها، فعاد صوت المطربة إلى الهاتف من جديد، ورجاها أن تتيح له فرصة لقائها وسمحت له بذلك. وفي الميعاد كان يرتدي أفضل ما لديه من ثياب. وفتح الباب فدهش من ثراء المكان وبهرته الإضاءة، وقابلته الخادمة التي لو زارت الحارة التي يسكن فيها لوقف الناس مبهورين. وجلس يحضر جهاز تسجيل ويسجل الأسئلة في ورقة، وشعر للمرة الأولى أن حجمه أقل مما هو عليه حقيقة. لقد كان يعتد بنفسه كثيراً، ويرى أنه الأفضل في كل شئ.

نزلت ورد الشرق من الطابق العلوي تتهادى بوجهها الطبيعي الخالي من الأصباغ، فبدا عليه الاضطراب، وحاول

أن يقاوم عقدة أحمد عبادي حتى لا ينهدم كل شئ. فابتسمت له ورد بابتسامة مماثلة، وبدت ودودا بالرغم من أن وجهها يبدو عليه الإعياء، وكتفيها يبرز منهما العظم، فقد لبست ثيابا لا تغطي عظام الكتف، ووضعت رجلا فوق الأخرى وأخرجت سيجارتها بينما تقدم رجل مؤدب يطلب من سعد أن يخبره عن نوع المشروب المفضل عنده فطلب.

- أول مرة تعمل لقاء؟

- أول مرة بشكل رسمي في أول جريدة لأول مرة.

ضحكت ضحكة مجلجلة ومالت إلى الخلف على المقعد، فسرت هذه الضحكة في الأرجاء، وكانت صافية، فأصابت سعداً العدوى وضحك هو الآخر من القلب وتذكر تلك الضحكات التي كانوا يضحكونها في قرية الداير البحري، عند قطعة الأرض البور، ثم اعتدلت وتغير لون وجهها ومعالمه:

- مش عايزة أسئلة من إياها ...

- ربنا يسهل .

- قلت لي في التليفون، إنك هاترد بالنيابة عنى عن اللي حصل من صاحبكم.

- بالظبط.

- مال الناس بالطلاق والجواز والحب، خليهم في الفن.
- الناس تحب تعرف المستخبي.
- مش من حقهم.
- طالما إنك شايفة من حقك على الناس تسمعك من حقهم يعرفوا عنك كل حاجة.
- تبقى إنت ها تمارس حقك عليّ.
- ده لو حبيتي تبقى في الصورة، ما حدش يحب يبقى في الصورة ويدارى وشه.
- أنا مش هاداري وشى لكن من حقي أدارى نفسي.
- بعض الناس بيسمعوكي عشان عارفينك من جوة.
- السؤال الأول ... الثقافة بتمثل لك إيه؟...
- تقصد الكتب والقراية؟ إسأل بتوع الثقافة.
- أقصد الثقافة كلها على بعضها.
- كلمني في الغنا وبس.
- أيوة بس لازم الفنان المشهور يبقى عنده شوية ثقافة.
- يووه يا أستاذ ها تتفلسف.
- بلاش دي : لو اتعرض عليكي دور تمثيلي تقومي فيه بدور عالمة ذرة؟
- هارفض.

- الحب؟

- أجمل شئ.

- تسريحات شعرك، سيارتك اللي الزميل قال إنك بتهتمي بيها أكتر من أغانيكي، تردي إزاي عليه، مش ها حذف حرف واحد. ولكنه اضطر لحذف كل الحروف، فقد خرجت كل الحروف التي تؤلف كلمات تخدش الحياء وتهدم الذوق العام، وانطلقت بعيداً عن التحفظ الذي كانت عليه، فخلعت الحذاء ولوحت به في الهواء، فوجد أنه أمام إنسانة أخرى، فقد ارتفع الصوت حتى أصبح خشنا بعد أن كان ناعماً وبدت رجلاها في الأضواء المبهرة جافة مثل أرجل أم الخير في الحارة التي يسكن فيها. وجاء الخادم ومديرة المنزل على صوتها الزاعق، وأخذا يؤنباه، وهمست له المديرة بأن ورداً بالكاد خرجت من الأزمة النفسية التي سببها لها الزميل عندما ادعي أن أحدهم على علاقة بها مستنداً إلى شهادة الجيران. فاعتذر وخرج وهو يسأل نفسه أسئلة كثيرة عما يفعله المال والجاه والشهرة، ودخل على رئيس تحرير الجريدة فاستقبله مرحباً باشا ومد يده إليه بالأوراق وقرأ الأسئلة فامتعض.

- ده شغل تبدأ بيه حياتك؟

وضع الأوراق فوق المكتب، وأخذ يلقنه الدرس، ويعلمه المهنة. أوصاه أن يكون مبالغاً، أن يكون جريئاً، فيخترق حواجز الصمت المسكوت عنها، وأوصاه أن يوثق علاقاته وصداقاته مع من يستطيع، فالخبر يستخرج استخراجا، وأوصاه أن يكون مغامراً. فوجد أن كل وصاياه لم يتعلمها في دراسته الجامعية، وعرف أن السوق له آلياته وكل جريدة لها خصوصيتها، قال :

- إحنا بنكتب عن المرأة عشان يقرا الراجل والمرأة.

وألح عليه بمصطلح يبدو أنه مقتنع به وهو يقول .. (الصحافة فضايح)، وعندما وقف سعد أمام هذا العنوان فسر له قصده بأن النشر أياً كان هو فضح ولكن هذه الفضائح درجات فوعده ببذل جهد مختلف وخرج.

* * * *

٩- القريــة

كتب سيد عبد الحق في أول تقرير عن القرية.

أمـا عـن أهـل القريـة فـأرى أنـهم ثـلاث جماعات... جماعـة ليس لـها فـي السياسـة، ولا تـهتم بشيْ آخر ولا تعرض أمـن البلد للخطـر وهـؤلاء هـم الجهلـة، عـدا محمـد محمـود، فـأمره يحير، وهـؤلاء مثـل أهـل قريـة (نخلـة)، فليـس منـهم خطـر. الجماعـة الثانيـة هـي جماعـة المتعلمين (الغشم) زي أحمد عمـران، دول هـم المشـكلة. ودول أنـا حصرتـهم وعديتـهم لسيادتك زي مـا تعـد السـبحة، لكـن الجماعـة اللـي منـها الخـوف قـوى هـم اللـي مـش بيتكلمـوا ولا تعرف ميتهم إيه زي الجماعة المحامين، وخاصة السُهن الكبير أحمد عبد الرؤوف ماتعرف سيادتك بيفكـروا إزاي، و الداهيـة الكبيرة الدكتـور منصـور عبد الرحمـن وشـلته اللـي هاتشـلني، والله يا بيـه لعبت علـى كـل الحبـال عشـان أتعتـع شـعراية مـن

راسه ، مرة ألاقى الناس دي مؤمنة جدا، ومرة تاني ألاقيهم رايحين يعني لا مؤاخذة.. بس هايروحوا مني فين، وراهم والزمن طويل.

الساعة ١٠ بالليل يوم السبت

* * *

استطاع سيد أن يتسلل إلى الناس في هدوء، فقد كون صداقات، وكان منزل صلاح الديك هو مستقره، حيث جلسات السمر، عند حضور حسن الأبيض صاحب الشعر الأشعث والذي يعرف كل كبيرة وصغيرة عن القرية، ويعيش وحيدًا فليس له أهل، ويعمل لدي أهل القرية، نظير طعامه. يستخدمه سيد عبد الحق في جمع الأخبار ليرسلها أولاً بأول كي تتم ترقيته ، كما حدث في قرية (نخلة). حتى إنه طلب منه عدد الدجاج والماعز لكل أسرة، وكان يدون في دفتر يضعه في جيبه باستمرار اسم كل أسرة وكم عدد البيض الذي تجمعه كل يوم، ولم يكن أحدهم في القرية يعلم بذلك. كانوا يثنون على سيد في غيابه، ولا يعلمون أن ملابسهم حتى الداخلية منها معدودة. وعندما شكره أحدهم أمام مأمور المركز الذي حضر لافتتاح المدرسة الابتدائية هو وبعض القيادات، فرح ودون اسم هذا الرجل والميعاد ليستشهد بذلك عند اللزوم.

* * *

في ليلة مظلمة كان أحمد عمران عائدا من حقله، إذ رأى شبحا يخرج من بيت صلاح الديك، كأنه سيد عبدالحق، فلم يمهله أن يتحقق منه والقرية تبدو نائمة، حتى كلابها قد استسلمت للنوم. ودخل منزله فسمع أصواتا خافتة ودبدبات أقدام أمام بيته، فاسترق السمع فإذا رجال يتهامسون، وبدأ هذا الهمس يتعالى حتى أصبح كلمات بعضها واضح وبعضها لم يستطع استيضاحه.

- هاضرب في المليان.

- ما تسيبهوش ولو ضرب أنا هافرغ فيه.

زادت الجلبة وتعالت الأصوات وما هي إلا لحظات حتى سمع دوى طلق ناري تبعه آخر وسمع الأرجل تنطلق جريا، ففتح الباب ليعرف ماذا جرى وقد خرجت القرية كلها. فكان محمد محمود وأقاربه يطاردون سيد عبد الحق الذي اختفي في الظلام وذاب في الزراعات، والكل يسأل ومحمد محمود لا يرد، وأقاربه يطاردون سيد عبدالحق. همس الناس بأن هذا يعني أن الأمر يخص صلاح الديك قريب محمد محمود، و زوجته اعتماد البدري، ولم يفسر أحدهم لأحدهم شيئا، فكل الناس يعرفون أن صلاح الديك الذي يعاني عجزا عن شلل أطفال والموظف بوزارة السياحة، والذي يهيم حبا بزوجته الغريبة عن القرية له حكاية، فهو يغيب أياما للعمل،

ويناصب أهله العداء، ظنا منه أنهم يريدون الوصاية عليه لظروفه الخاصة. وقد أوعزت إليه زوجته بأن بعض أقاربه ربما يكونون طامعين فيها، وذلك كي تحول سهام الاتهامات إلى صدورهم. ودائما تذكره بعجزه وتؤلبه على أهله. فكل القرية تعرف أن زوجة صلاح الديك ليست حسنة السمعة.

عند الصباح عاد سيد عبد الحق ليواصل عمله وكأن شيئا لم يكن، وهدد الذي همس له بأنه مطلوب من أقارب صلاح الديك، هددهم بأنه سيرسلهم واحدا تلو الآخر إلى المعتقل ما لم يكفوا عما أسماه بالاتهامات الباطلة. ولكن أحمد عمران كان على استعداد للإدلاء بشهادته إذا ما قرر محمد محمود وأقاربه شكايته، وسمع سيد بذلك فقرر أن ينتقم وكتب:

- صبح إمبارح وصلتني أخبار هامة عن بعض الناس في البلد وبالأخص عن أحمد عمران، قال لي واحد إنه شافه في الليل هو وناس أغراب في غيطه القريب من الجبل، وأقسم لي إنه معاه مدفع رشاش والله أعلم خباه فين؟ دفنه في البيت والا وداه فين بيقولوا عايز يطفش المخبرين، عشان يتعين بدالهم ويفرض نفسه على الناس. في الضهر إمبارح حاولت أروح أزوره في البيت عشان أشمشم عن الخبر، ولكن رفض استقبالي. في الليل، لبدت في الغيط اللي ورا بيت أحمد عشان أشوفه بالمدفع طالع والا داخل واسلمه متلبس وبعد نص

الليل بشوية كتار قامت القيامة في البلد شفت ناس قدام بيت أحمد عمران، وتحركت بالراحة، وطلعت المسدس الميرى، وسمعتهم بيقولوا هاته. وشموا حركة وضربوا على بالنار، رديت عليهم بطلقة تهويش في الهوا، وقربت منهم ما عرفتش غير أحمد عمران لأن وشي كان في وشه، وحسيت إنه ناوي يضرب في المليان، وهددته إني ها أضرب في المليان. بعدها هربوا في الزرع. لو أي حد قال غير كده ما تصدقهوش، وهاحرز لسيادتك الظرف الفارغ اللي أطلقته من مسدسي الميري عيار ٦ مللى، بس الحقيقة مش عارف هربوا المدفع والا لسه، وعشان كده أطلب قوة لتفتيش منزل أحمد عمران في الفجر بكرة وأنا مداوم المراقبة سيادتك.

صباح التلات ٩/١٧..

في الفجر كانت سيارة محملة بقوة كبيرة من الجنود تقتحم بيت أحمد عمران، وتقلبه رأسا على عقب. ولم يكتف الجنود بقلب المنزل وحفر أرضه بعد أن يدقوها بمؤخرة البنادق. فإن شكوا في الصوت القادم من الأرض حفروها على الفور. وأشار سيد إليهم، بأن المدفع ربما يكون قد علق في النخلة التي في المنزل فصعد جندي ولم يجد شيئا. وفتحوا بعض أعمدة البناء في المنزل حتى أفرغوها تماما ولم يجدوا

شيئا، وانصرفوا ، فانتحي سيد بأحمد عمران بعطف وفي رقة وهمس إليه، بأن هذا البلاغ الكيدي قدمه أحد أهل القرية، ولن يستطيع أن يخبره عن اسمه حتى لا تحدث فتنة وأخبره بود بأنه ربما في وقت لاحق سوف يخبره، ولم ينس ان يعاتبه عما سمعه برغبته في أن يشهد ضده في قضية محسومة مسبقا لصالحه إن حاول أحدهم النيل منه.

واصل سيد عبد الحق قضاء أوقات السمر عند صلاح الديك، الذي أبدى غضبه الشديد مما فعله محمد محمود وبعض أقاربه ومن الفضيحة التي سببوها له ولزوجته، بعد أن أقسمت له أن أحدا لم يدخل بالأمس منزله المصان في غيابه وقالت له: إن الناس في هذه القرية لا يعجبهم شئ وأنهم يحقدون عليها لجمالها... وفكر أن يقدم بلاغا يتهم فيه محمد محمود وبعض أقاربه ولكن ما منعه أن الفضيحة ستزداد وهو لا يريد ذلك، قال سيد عبدالحق بينما حسن الأبيض يقوم بتوزيع الشاي:

- عشان تعرف الناس، لو حد غيري كان وداهم في داهية.

عقب حسن الأبيض:

- الموضوع ده لو كان مع غريب، كان عمل للبلد مصيبة.

قال سيد مخاطبا صلاح الديك:

- لو عاوزني ما اجيش عندك خلاص؟

- لا يا راجل ، سيبك ...من كلام الناس.

- أنا جاي أعمل استتباب أمن مش أزعزع الأمن.

حسن الأبيض:

- معلوم، من يوم ما جيت ما شفناش مشاكل.

استفسر صلاح في ود :

- إيه حكاية الجماعة بتوع امبارح ؟

قال حسن الأبيض فزعا :

- يا ساتر يا رب، هو عمل حاجة تاني؟ صدقنا خلصنا منه ومن غريب والكلب .

يعتدل سيد عبد الحق وتلمع عيناه في خبث:

- الواد غشيم، بالرغم من إنك تشوفه تقول عليه بنت مستحية، صحيح اللي سمعته عنه؟

صلاح يرد :

- تقصد الكلام بتاع زمان؟ الناس كلهم بيقولوا...

- يعني حقيقي؟

صلاح الديك:

- عبد الشافي قال، بس ما حدش شاف حاجة.

انتهت سهرتهم وكان محمد محمود ورجاله يراقبون في الخارج، وفي هذه المرة كان صلاح الديك موجودا بالمنزل وخرج قصدا ليودع كلا من سيد عبد الحق وحسن الأبيض، فلم يستطع أحدهم أن يقول شيئا، وانصرفوا جميعا.

تقابل أحمد عمران والدكتور منصور عبد الرحمن في الشارع فتوقف وسأله:

- إيه حكاية الحكومة اللي كانت عندك بالليل؟
- مش عارف .. قال إيه بيدوروا على سلاح، فيه حد اشتكاني..
- زي مين؟
- قال لي سيد انه ها يقول لي وما قالش .
- انتو عملتوا إيه في سي سيد ده ؟ .
- محمد محمود وجماعته خايفين أحسن الاتهام يتقلب عليهم.
- وسيد عرف إنك كنت ها تشهد ضده ؟
- كل الناس عرفت .
- هو اللي بلغ عشان يخلص منك أو يساومك، خلى بالك منه ده أخطر من غريب.

انصرف الدكتور منصور الذي أدخل الشك في نفسه، وقابل سيد عبد الحق فقال له:

- تفتكر مين يا سيد يكون بلغ عني؟
- هانعرف ، يمكن يكون غريب، ويمكن حد غيره.
- أنا ناوى أبعت محامي يعرف .
- وأنا مالي!
- أنا بافكرك بغريب .

مر سيد ولم يعقب وكتب على الفور:

** امبارح شفت حاجة غريبة على أحمد عمران، شفته لابس جلابية بيضا، جديدة لنج وزي ما سيادتك عارف إني عادد هدوم الناس، ومراقبه، وسألت نفسي طيب جابها منين؟ أكيد اتصرف في المدفع، وقلت يا قاتل يا مقتول، لازم أتابعه.. ولعلم سيادتك منصور الديك جهز لي أوده قدام البيت معزولة عن البيت. وحسيت إن أحمد عمران مش حالق دقنه ،وتابعته لغاية ما دخل الجامع، ربنا يسامحني دخلت من غير وضوء وعشان ما الفتش الانتباه، قعدت في الصف اللي قدامه، بس كانت عيني وودني معاه، وسمعته بيقول ويكرر حسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله... طيب دي معناها إيه؟... ما فيش أي أخبار عن المدفع وكل حاجة غير كده كويسة.

وصلت هذه الرسالة إلى رئيسه استدعاه وعنفه على أسلوبه المبتذل في المراقبة. وبدأ يضغط عليه ليخبره عن المدفع أخبارا تحسم الأمر. فمرت أيام ولم يأت بجديد، فقرر استدعاء أحمد عمران للتحقيق، فذهل من الاتهام وألح على المحقق أن يبلغه عمن أبلغه فاكتفي بقوله إنه جاءهم عن طريق مصادرهم الخاصة ، ودخل أحمد عمران في تحقيقات

وتحقيقات وسيد مزهو بذلك، أبلغ عنه ونسب إليه هذه التهم وبدأ الهمس بين الناس بأن سيد أراد أن يتخلص من أحمد عمران كي لا يشهد ضده وينفضح أمره ، ولكنه كان ينكر. ويحاول أن يوهم الناس أن المعلومات قد جاءت من مصادر عليا. وكان على أحمد عمران أن يثبت أنه استلم المدفع، وأنه لم يبعه، ويسلمه، أو أنه باعه ويبلغهم عمن اشتراه وكان عليه أن يثبت أنه لم يكن يقصد سيد عبد الحق وهو يدعو في صلواته. وبعد التحقيق ، حكى لهم ما شاهده عندما كان قادما في الليل من أمر سيد عبد الحق ، وقضى في المركز أياما كثيرة رهن التحقيق وخرج من الحبس إنسانا آخر.

* * * *

١٠- روما

عزيزي / سعد .. (بوناسيرا)

آمل أن يكون كل شيء عندكم على ما يرام ، كيف حال الداير البحري ؟ ما هي أخبار الصحافة معك ؟ ، كيف حال أحمد عمران ؟. من الدور الرابع في البناية رقم ١٦ ش جريسيللو أكتب إليك والساعة قاربت على الواحدة ليلا وأنا عائد لتوي من العمل، فنويت أن أكتب إليك هذا الخطاب ردا على خطابك السابق الذي سررت بما فيه. الطقس هنا منعش، والزهور والورود تحيط بالبناية التي أسكن فيها أنا ومحمود الحموي وأبو مازن. قبل أن أبدأ أحدثك عن محمود الحموي.. إنه يا صديقي يشبه بالضبط أحمد عمران في طيبته ورقته وحبه للناس، فهو الذي استقبلني، ودعاني إلى السكنى معهما، وأنا أكن له الحب والاحترام، لولا شيء واحد يضايقني منه وهو الإهمال، فكل شيء في حياته لا يعرف الترتيب، كما أنه شديد الحرص على النقود يستطيع أن يتغدى ويتعشى

بتفاحة واحدة ويشرب الماء ويمارس تمريناته الرياضية، وكأنه أكل خروفا مشويا. أمس كنا قد اتفقنا أن نجمع مبلغا من المال بمناسبة الأجازة وهي يوم الأحد، واقترحت أن نشتري ما يحلو لنا وقد اشتقت إلى وجبة مطبوخة بالملوخية، ولكن شيئا طريفا قد حدث سوف أحدثك عنه بعد أن أعرفك بأبي مازن.. أبو مازن رجل في الأربعين، أحمر الوجه نظيف الثياب، بطين، شعره أصفر وشاربه كذلك، لا يعترف بشيء اسمه أخوة في المال، يعرف كيف يجمع المال ويعرف كيف ينفقه، وهو مؤمن بأن النقود هي كل شيء في الحياة، بل هي الحياة ذاتها. يحاسبني حسابا عسيرا إذا ما تأخرت عن دفع الإيجار ساعة عن الميعاد المحدد. قال لي إنه يفعل أي شيء من أجل النقود وعندما أبديت دهشتي قال:

- لك يا حبيبي الدنيا مصاري ، إنت ما بتستاهل لوما معك، أنا با أحب أصرف المصاري على حالي، بيصير لازم أعرف كيف أجيبها، الله وكيلك لو قلت لي أطلع ع كتافك السلم ما باعترض. وليش أعترض وأنا اللي هاالضحك عليك وآخد مصاريك واتريض ع حسابك.

لذا، قبل أن تقول يا أبا مازن، لابد أن تسبقها بشيء يوحي من قريب أو بعيد بالنقود ولذلك أسميته (أبو فلوس) وهو لا يعترض ويضحك قائلا : وأنت (أبو فلس) ، هكذا

رفيقاي في المسكن ، وقد اعتدت عليهما وأصبحت لي حياتي الخاصة. أعود وأحكي لك عن هذه الحادثة الطريفة حادثة الغداء المشترك على طريقتنا الشرقية، قلت:

- كل واحد يدفع خمسين ليرة،.. فدهش الحموي، وقال أنه قرر بالأمس عمل (ريجيم) وكان جادا في رفضه.

قال أبو مازن:

- حبيبي طول ما المصاري داخل البطن لا يهمك ، أنا بادفع عن محمود وباعرف كيف أطلعهم من جلده.

اعترض محمود على أسلوب أبي مازن ، ولكنه لم يستطع الهروب، فحاصرناه .. أنا طمأنته أنه ضيفي، وأبو مازن أقسم أنه سيستضيفه ولكن على نفقته. وقمت وطبخت ، ولكن لا الأكل هو ما أردناه ، ولا ما عرفناه في الداير البحري، ولم يعجب الأكل بالطبع محمود الحموي وبعد أن أكل تحجج بأنه كان ينتوي دفع نصيبه ، لو كان مذاق الأكل قد أعجبه ، أما أبو مازن فقد أخبرني أنه يأكل مجاملة لي وأعلن وهو في المنتصف أو قبل انتهائه من الطعام بأنه لن يدفع ليرة واحدة في طعام لم يعجبه ، وشربت...

قبل أن أنتقل إلى خطابك أعرفك أنني منذ وصلت.. بعد أن قابلني محمود الحموي عندما كنت أتسكع في حديقة

كبيرة يقصدها الشرقيون ، وكان يتشمم وردة ويمشي بمفرده فلم تخطئني حاستي، وتقدمت إليه وتعرفت عليه ، فأحضرني إلى هذه البناية وعرفني بأبي مازن وقد كانا يبحثان عن ثالث يشاركهما دفع الإيجار. محمود الحموي يعمل في أحد المطاعم التي تقدم المأكولات الشرقية، وأبو مازن لا يعرف محمود الحموي ولا غيره أين يعمل؟ أو ماذا يعمل ؟ وعندما سألته رد بصوته الأجش إنه يعمل في أي شيء ، في تجارة كل شيء، فرجوته أن يبحث لي عن عمل، فساومني عن الثمن واتفقت معه على أن أدفع له نصف راتبي لمدة ثلاثة أشهر ولكنه ساومني على أربعة أشهر فقبلت، فاصطحبني إلى حانة تقدم المشروبات ملك سيدة تقترب من الأربعين تبدوا لجمالها كأنها في العشرين وقدمني إليها، قدمني إلى السيدة جينا لولو باولو وتحدث معها بالإيطالية التي لم أعرفها حتى الآن، فتسلمت العمل وكنت قد اكتسبت خبرة في اسطانبول ، وقلت: لعل سكارى روما أكثر احتراما من سكارى اسطانبول، ولكنني وجدت أن السكارى في أي مكان لا يختلفون. مرة تقدمت مني سيدة وأنا أزاول عملي وأقدم المشروبات وأجمع ما فرغ من كئوس وقالت كلاما بالإيطالية وبحدة لم أفهمه وصفعتني على وجهي وانصرفت ولم يتحدث أحد ولا أنا تحدثت ، وبعدها

بوقت لم تتمالك سيدة متقدمة في السن نفسها بعد أن شربت أربعة كؤوس و.. عالم غريب ، ولكني أزف إليك خبرا قد تراه الأغرب. لقد تعلمت احتساء الخمر، واستطعمتها، هل تعلمت أنت أيضا ؟ أستطيع الآن أن أحتسي ثلاثة كؤوس وأحتفظ بتوازني ، وقد راهنت فتاة على ثلاثمائة ليرة إن شربت خمسة كؤوس ، ولكني، للأسف خسرت الرهان، وتركتني ولم تدفع الثمن فدفعته أنا، وتحديتها أنني في المرة القادمة سوف أكسب الرهان، والآن أدرب نفسي كي أكسب هذا الرهان، لابد أن أكسبه .

المرتب مجز ، أستطيع أن آكل وأشرب بشكل لائق ، وأدخر بعض النقود لرهاني المرتقب مع جولينا .. ننتقل إلى موضوعك أنت، قلت لي إنك لم تحصل على عمل جيد إلى الآن، ولولا عدم ثقتي فيك لنصحتك أن تتسلل إلى هنا وسأحاول أن أوفر لك عملا في هذا البار ولكني أعرفك وأعرف أفكارك.. الصحافة، صاحبة الجلالة، المستقبل والشهرة والمال، أظن أنك لم تغير هذه الشعارات، وأنصحك إن كنت عند رأيك أن تعمل في أي مكان إلى أن تتهيء لك الفرصة التي تنتظرها والتي ترضي طموحك. هنا يغيرون وظائفهم عند الضرورة ولا يهتمون. أحدهم حاصل على

ماجستير كيمياء يعمل معي في البار، بعد أن ترك جامعته بحثا عن مكان في جامعة إقليمية سوف تدفع له الراتب الأعلى. آخر أعرفه كان يعمل طبيبا نفسيا ويعمل الآن سائق تاكسي وقد قرر تغيير وظيفته لأنه أخطأ في علاج مريض يعاني نفسيا مما دفع المريض لرمي نفسه تحت عجلات سيارة، نماذج كثيرة جدا يمكنني أن أحكي لك عنها. اسمع آخر الأخبار الهامة .. تخيل أنني أصبحت من الذين يحبون ؟ أنا بشكلي وطباعي، ابن عز البربري أصبح يحب .. هل تصدق أن ابن الداير البحري يقود سيارة وينطلق بها في شوارع روما الجميلة وبجواره (سنيورا) من أجمل ما رأيت ؟ في البداية كنت أرتبك ، كنت أخاف كما تعلمنا في القرية ، بالتأكيد تتذكر عندما كنا نسير عن بعد خلف فتيات صغيرات كنا نتخيل أننا نقترف ذنبا ونخاف ونراقب الطريق فلو لا حظنا أحدهم يرقبنا عدنا أدراجنا. الآن كبرنا يا صديقي، أنا أنظر إلى قرية الداير البحري بالعطف عندما أجدني هكذا بسهولة أستطيع أن أقتني فتاة، اثنتين، صغيرة، متوسطة العمر، متقدمة في السن، ولا يقول لي أحدهم ما يقوله الناس في القرية، أحس بنشوة.. سنيورا جينا. إنها تشبه مارلين مونرو بالتأكيد تعرفها ، أعجبت بي واختارتني من بين شباب البار والمطعم ، وقتها لم أكن أصدق فعلام تختارني؟ على

وجهي الشرقي وعيني الغائرتين في اللحم ؟ علـى جسـدي الـذي يشبه أجساد الأفيال ؟ . سألتها فقالت :

- مللت وأريد أن أرى الشرق، أريد تجربة أحـدث عنـها صاحباتي.

- وأنا التجربة ؟

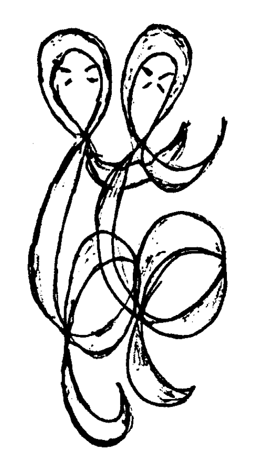
- نعم ، نحـن الاثنـان تجربـة مشتركة ، ألا تريد أن تجرب شيئا مختلفا ، لماذا أنت هنا الآن ؟

- زواج ؟

- تجربة زواج ؟

والآن نجرب ، شـيء مختلف فالشرق شرق والغرب غرب ، أرجو أن أسمع أخبارك .

أخوك / حامد عز



١١- القاهرة

دهش سعد للتطور الذي آل إليه حامد عز، لقد بدأ سريعًا الانزلاق للهاوية، كأنه كان مسجونا وأخرج من السجن، أعمت عينيه الزخارف، على طريق الضياع بالنساء والخمر، وكان يرى أن عليه واجبا فبينهما قسم الدم وصداقة وجيرة، سوف يكتب له نصيحة.. لا لن أنصحه حتى لا يتمرد. ويظن أنني أدعي علما وخبرة أكثر منه. يجدر بي أن أقول : حدثني صديق، أو من الأفضل أن أقول: قصة حقيقية تقول كذا أو كذا. سوف أذكره بالداير البحري وبالحجر الكبير الذي كان يجلس عليه ويدلي رجليه ويلتفون حوله، لا يزال الحجر بكل ما علق به من أوساخ في مكانه، لا يزال أبوه عز الدين عبد الجبار البربري، يجلس بجوار حماره والذباب يتجمع حوله. أم أوقظه من غفلته بأمه المريضة التي تنتظر منه أن يرسل لها ثمن العلاج الذي يطلبه طبيب القلب ليجرى لها جراحة ويبدل لها صماما في القلب .. لا .. لا ..

سيغضب، الأفضل أن أخبره بأنني أمر بظروف مشابهة ، مع مطربة مشهورة وأطلب منه تبادل الرأي، فربما قوم كل منا الآخر. ولكن في النهاية استقر الرأي عنده أن يكتب له فإذا جرس الهاتف يدق.

- ألو ، أهلا يا عماد .
- عايزك.
- على قهوة حسنين الساعة ٧

الميعاد الذي ضربه لعماد القماش يقترب ، فأجل كتابة الخطاب إلى الليل عندما يعود، فوجده جالسًا (هائمًا) في دنيا الله، وعرفه بصديق جاء معه وهو مختار إبراهيم لاعب الكرة الشهير المعتزل، الذي أصبح لا عمل له، كما قال له عماد القماش، فحياه وانتظر أن يبدأ الكلام :

- عملت إيه في الجريدة ؟
- قدمت له موضوع عن ورد ماعجبهوش.
- ليه ؟
- عايز حاجات سخنة.
- تفتكر ورد هاتديك حاجة سخنة ؟
- والله يا أخي إدنتي ..
- دي بستين وش يا حبيبي .. مصطفي بتاع الليل قال لي : لو عاوز حاجة سخنة عليك وعلى الكابتن مختار.

- أنا نفسي مش عارف إيه هو السخن اللي عاوزه ولا درجة السخونة، قد أيه ؟

مختار يشرب الشاي على مهل، ويرج الكأس في توقيت منتظم وهو شارد الذهن، وقد طالت لحيته وراحت نضارة وجهه حين كانت الأضواء مسلطة عليه. وترك سعداً وعماداً يثرثران ولم يشترك في حديثهما إلا لحظات ويعود بعدها لعالمه الخاص، وكان سعد وعماد يجلسان متجاورين، وصوت الراديو ينبعث من المقهى بصوت المطرب الذي يحبه المعلم حسنين وفي رفق استأذن سعد في خفض صوته أو تغيير هذه الموجة التي أصابته بالعصبية عندما سمع ذلك المطرب، وبصوت مرتفع أراد حسنين أن يعلن لكل من بالمقهى عن حبه لهذا المطرب وأراد أيضاً أن يعرف الناس أن بعضهم ليس لديه الذوق الذي يسمح لهم بالاستمتاع بفن أصيل هو تعبير عن أصالة مصر وأبناء البلد الحقيقيين وكان يقصد بذلك أن يلومه فقال:

- حد ما يحبش طيطا؟

قال سعد :

- أنا .

قال المعلم :

- ده بيقول كلام في الصميم ، أسمع بس، شوف معناة الكلام.

حـاول أن يشـرح لسـعد بعض الكلمـات التـــي يعـرف معناها. الناس في المقهى ينظرون ليروا من سيكسـب، بعضـهم يحب هـذا المطرب وبعضـهم لا يريـد إغضـاب المعلـم حسـنين صـاحب المقهى، ويسـتمع علـى مضـض. ولـم يسـتطع أن يقنـع المعلم حسنين الذي انضم إليه بعض عمال الحفـر، فيئس سـعد وطلب منه أن يخفض فقط صوت الراديو. فوجد الأسـتاذ أحمـد محمود الموظف المتقـاعد والـذي كـان قـد أجـرى معـه حديثـاً، وجده قد ترك طاولته وأتى إليه باشا، فسلم عليهم وأسـتأذنه فـي الانضمام إليهم وبعد تردد أومأوا له بالإذن فقال :

- عملت إيه في الموضوع يا أستاذ ؟
- لسة ما اتنشرش .

كأن الرجل يعاني كبتاً ولم يتحدث منـذ وقـت ، فـانطلق يتحـدث ولا يعجبـه شـيء وليس لديـه أمـل فـي شـئ، يـرى أن الحياة قد توقفت منذ خروجه من العمل، ويرى أن الأجيال التي تلته لم تضف شـيئاً، يـرى أن الرياضـة تدهـورت وأن الفـن قـد هـبط، والـذوق قـد هـدم، والأخـلاق والقيـم قـد ضـعفت ، وكـل شـيء. يريـدون أن يصمـت وهـو لا يسـتطيع ، يريـدون أن يناقشوا أمورهـم وهـو يريد أن يفرض عليهم مشاكله، كأنـه لـن يتحدث بعد ذلـك. توقـف مختـار عـن هـز الكـوب الفـارغ، وأغمض عماد القماش عينيه ، وطأطـأ سـعد رأسـه والرجـل لا

يريد أن يكف، وبدأ يحكي حياته الخاصة بلا مقدمات. حكى عن جيرانه الذين لا يزورونه وهو في وحدته بعد أن تركه أولاده، لا يجد من يخفف عنه وحدته، ولعن جاره مهندس الكمبيوتر الذي استنجد به ليساعده في نقل بعض أثاث منزله فلم ينجده وتحجج له أنه سينتهي من عمل ولم ينته. بدأ يشكو من الجار الثاني الذي يبتسم له فيرد هذا الجار بابتسامة باهتة ولا يزيد على ذلك ، ثم يتوقف لحظة لا يستطيعون فيها إيقافه ليسأل نفس السؤال ويكرره من وقت لآخر .. ما الذي جرى ؟ ولم يكونوا قادرين على أن يجلسوا هكذا ليسمعوا من هذا العجوز شكواه من الحياة.

قال سعد قبل أن يدخل الرجل في موضوع آخر:

- هانعمل تحقيق في الموضوعات دي.
- ياريت يا أستاذ ، لو بتدور على الجديد، الناس اتغيرت والدنيا لهتها.
- إن شاء الله.
- آسف لو كنت خدت من وقتكم شوية.

ضحك عماد فضحكوا وقال :

- إطلاقا ، المرة الجاية عاوزين شوية كتار.

صمت الرجل وظل جالسا مكانه ولم يتحدث مختار وبدأ سعد وعماد يتبادلان النظرات يريدانه أن يذهب ليتحدثا

وهو يريد أن يجلس ليستمع لحديثهما، يريدون أن يتخلصوا منه، وهو يريد أن يلتصق بهم، وقد أدرك ذلك فنادى على(الجرسون) ودفع له ثمن ما شربوه جميعا، فشكروه وانتقل إلى طاولته فقال عماد :

- مختار عنده حكايات كتير من أيام زمان .

قال سعد:

- أخبارك إنت إيه ؟
- هاسافر.
- فين ؟
- الخليج
- الناس كلها هتسافر؟
- أبوي طردني من البيت.

قال سعد معاتبا في غضب :

- وما تقولش!.

بدأ يشرح أسباب قراره، وكان سعد مندهشا من كل هذه الأسرار التي يخبئها. ويسأل نفسه. كم تكون الأسرار عند أناس لا تعرفهم، إن كانت كل هذه الأسرار عند الأصدقاء؟. والألم يعتصره، ووجه عماد يتقلص. يغمض عينيه تارة ويفتحهما حينا فتبدوان منكسرتين، أحيانا ينفعل فيدق الطاولة بيده ، وكان يستشهد بمختار من حين لآخر.. كان سعد قد رأى

أباه مرة عندما حمله هو وبعض أصدقائـه مريضـاً إلـى المـنزل وهو يسكن في حي متوسط المستوى بالقاهرة بعد أن ترك أبوه الإسكندرية ليفتح محلاً لبيع التحف.. أبـوه رجـل مـزواج، هـذا مـا كـانوا يعرفونـه عنـه، قبـل أن يـراه، وعندمـا رآه أدهشـته شـخصيته، فـهو حقيقـة تعدى الستين، ولكنـه لـم يـترك الزمـن يرسـم بأصابعـه خطوطـاً علـى وجهـه، فـهو يمـارس رياضتـه اليومية ويواظب على ذلك منذ أن كان مدرباً للتنس بـأحد أنديـة الإسكندرية. يصبغ شـعره فيخدعك، لياقتـه الجسدية، وتقـاطيع وجهه التي تشعرك أنه في الأربعيـن، يؤثـرك بحديثـه وثقافتـه، فتألفه للمرة الأولى، تحس أنك تعرف عنـه كـل شـيء. وعندمـا تحدث عماد أدرك سعد أن انطباعه كان خاطئاً. واسـتطرد عماد يحكـي وأنفـاس سـعد تتسـارع، ومختـار يشـاركه الدهشـة أحياناً :

- كـان عنـدي خمـس سـنوات وأنـا وأخـوي الكبـير اتعودنـا القسوة من بابا، ماما ماكانتش موجودة ، وكـانت محجـوزة في المستشفي، وعطشت بـالليل وقمت أشـرب، شـفته مـع واحدة تانية، ورجعت جري لأودتي وفهمني إن دي مراته التانية وهو متجوزها من ورا ماما، وقال:
- لو قلت لماما على الحكاية دي هيدبحني بالسكين.

وكرر سؤالاً مرارًا :

- آه ها تقول لها ؟

- لا يا بابا .

حدث منذ هذه الحادثة تشوه في الذاكرة عندي، لم أستطع أن أقنع نفسي به ، لم أكن قادرا على البوح بهذا السر ولم تكن ذاكرتي البكر قادرة على نسيان ما رأيت. كنت أراه وهو يرتدي كامل ثيابه كما رأيته في تلك الليلة. ولا زلت إلى الآن أراه وهو يمسك هذا السكين الكبير الحاد، فكانت تدهمني أحلام مزعجة. أصرخ وأمي لا تعرف مم هذا؟. فطافت بي على العرافين والأطباء دون جدوى، يرحمها الله، فتمردت عندما كبرت. لم أر فيه الأب كما يرى الآخرون، لم أستطع أن احترمه وأقدره. كان يضربني بلا هوادة لألين ولكن لم يحدث ولولا أنه كان معروفا في الحي الذي كنا نسكن فيه بالإسكندرية لكان قد طردني أو ربما قتلني. ثم سدد عماد نظره بابتسامة باهتة إلى سعد وأكمل.. أبي هذا الذي رأيته ذات يوم يبتسم ابتسامة عذبة، بوجهه المشرق الذي يملؤه الدم، ليس هكذا في المنزل. يسب بأفظع أنواع السباب، لا يستطيع السيطرة على أعصابه، فيضرب بأي شيء تقع يده عليه، هذا الوجه الجميل الذي رشحه للزواج والمال قبل ذلك، يتحول إلى وجه وحش كاسر عندما يراني. حاولت بكل ما أستطيع أن أنسى هذه الليلة وأعامله باحترام أو حتى بحب فلم أستطع. وكنت في لحظات

كثيرة وآخرها منذ وقت قريب، أرى فيه الأب الذي يريد أن يستمتع بابنه وهو يسألني وقد نسي تلك الليلة:

- أنا عملت لك إيه؟

أنا لا أرد وهو يزداد جنونا، لذا طردني من حياته نهائيا، بعد ما تزوج من امرأة في الخامسة والعشرين، على قدر كبير من الجمال، خاف منها على، وعليها مني. لذا قررت السفر إلى الخليج لأبعد عنه وعنها وعن أحمد يحيى وعن العالم كله.

لم يجد سعد كلمات تقال ، ولم يجد مبررا لإثنائه عن هذا القرار.

- والصحافة، والمستقبل؟

- يعني انت شايف المستقبل واقف وبينده علينا ، ومش لاقي حد غيرنا؟

- برضه..

وكانت الكلمة الأخيرة ، تعني إفلاسه من حجج الإقناع التي تاهت من رأسه ، فلم يتركه عماد ليكمل هذه الكلمات التي ليس لها معنى. وطمأنه بأنه يختلف عنه ، فهو يستطيع أن يشق طريقه في الصحافة ويصنع له مستقبلا، وقبل أن يعلن سعد يأسه من نفسه ومن الصحافة ومن الناس، وضع عماد يده على كتف مختار إبراهيم وقال: إن مختارا يستطيع أن يزودك

بالأخبار التي تروق رئيس التحرير، فقد كانت له صولات وجولات ثرية قبل أن تنزوي عنه الشهرة، وهمس في أذنه أن مختار إبراهيم أصبح الآن فقيرا ، ويأمل أن يبيع هذه الأسرار التي دفع فيها شهرته ومستقبله ونقوده لكي يعيش ، ففهم سعد أنه مثل سيد النو:

- وإمتى هاتسافر؟
- بعد أسبوع ، عشان كده قلت أسلم عليك وأعرفك بمختار.
- الدنيا دي صعبة ؟

هذا هو ما استطاع أن يقوله سعد ، وانتفض عماد واقفا وتبادل سعد مع مختار إبراهيم العناوين وأرقام الهواتف وحيوا المعلم حسنين، وسلم على أحمد محمود ووعده بلقاء في أقرب وقت، وانصرفوا بعد عناق طويل بين سعد وعماد .

عند مدخل الحارة قابل سعد أحمد (المنجد) وفي يده جريدة وكأنه يفتقده، فعرف سعد أن الموضوع هو الجريدة ، وقاده إلى داخل دكانه الضيق وبالكاد وضع مقعدا صغيرا بين أكوام القطن وجلس على كرسي الماكينة، كأنه أستاذ سيلقى محاضرة. وضم شفتيه وهز رأسه ودفع إليه الجريدة قائلا :

- إقرا صفحة ١٢.
- فيه إيه ؟

- بس اقرا .. طول عمري حتى قبل ما تسكنوا وأنا أقول إن الراجل ده وراه سر.

عرف سعد أن الموضوع هو سيد النو وقرأ على عجل فطالعته صورته والخبر الذي يعلن ضبط شبكة تهريب آثار ودهش لذلك. ما هي علاقة الآثار بالتماثيل، والقطط ؟ وورد في الخبر أن سيد عبد الرؤوف المعروف عند أهل الحارة بسيد النو مع شبكة تهريب بقيادة شخصية قيادية سابقة اشتركوا في تهريب قطعة أثرية ترجع إلى الأسرة الوسطى.. قرأ وصمت وقال أحمد (المنجد):

- ناوي تعمل إيه ؟
- ولا حاجة.
- أمال صحافة إيه اللي انت شغالها ؟
- ما باشتغلش في الأخبار دي.
- ده جارك وانت أولي تعرف فيه إيه بالظبط . آه لو كنت اتعلمت ..
- ربنا يسهل، واشوف

قام سعد من دكان أحمد المنجد إلى البيت والناس يتحدثون في موضوع سيد النو. النساء يتحدثن وجها لوجه من (الفراندات) القريبة. وجد حديث سيد النو في البيت، ووجد زوجته وحيدة معروف للمرة الأولى تقف أمام باب منزله

ويبدو عليها الهلع وقد وقفت أمه تطمئنها وعندما رأتاه تهلل وجهاهما فعرف أنه المنتظر، وراحت وحيدة تؤكد له أن زوجها برئ وأنه قدم كبش فداء لآخرين وحكت له أن زوجها كان يود أن يعلن عن هذه العصابة، لكنه كان يريد أن يساوم لكسب المال لظروفه الصعبة، ورجته أن يساعدها وزوجها في هذه المحنة فوعدها بذلك.

نام سعد ولم يكن قادرا على استيعاب الأشياء الكثيرة التي قابلته في الأيام الماضية وصحا على اتصال تليفوني وكان المتحدث هو منال مندور ، وكان قد انتهى من الكتابة لحامد عز فقام للرد :

- حمد الله على السلامة.
- الله يسلمك . تعالى عايزاك.
- بعد بكرة الساعة ٩.
- مع السلامة.

* * * *

١٢- القرية

ضغطت القيادات بشدة على سيد عبد الحق لكي يوافيها بأخبار أحمد عمران والمدفع وأعطوه مهلة ليثبت أقواله وإلا سيحال للتحقيق بتهمة بلاغات كاذبة، فكان عليه أن يجد هذا المدفع المزعوم وإلا تعرض مستقبله للخطر وفكر في الخلاص من محمد محمود باتهامه بتسهيل تهريب المدفع، فكتب :

والله يا بيه ما بأنام ، من يوم حكاية أحمد عمران ومرابط في الداير البحري ، والواد ده بتاع مشاكل وفيه ناس بتودود له، النهارده لاحظت حاجة ما تعديش على واحد خدم عشرين سنة في المباحث وخدت ترقية، سمعت أحمد عمران. بعد نص الليل بيكح كحة مش هي، قلت لازم ده سيم بينهم وطلعت لقيت محمد محمود، طالع من بيته، وهو التاني بيكح قلت الله هي إيه حكاية الكحة دي؟ لازم فيه حاجة، أنا شاكك يا

بيـه فـي محمـد محمـود، بـس عشـان مـا أظلمـهوش لازم اتـأكد بنفسـي، وإن شـاء الله قريـب هـايطلع هـو اللـي هـرب المدفــع ونخلص. فيه حاجة تاني يا بيه: بالليل امبارح حطيت ودني عند حيط أحمد عمران وسمعته بعد ما صلى بيدعـي علـي ويحسـبن وأنا عاوز أعمل له محضر لأنه بيسبني ويشـتمني شـتم بصـوت عالي والأمر متروك لسيادتك.

القرية كلها تتحدث عن مدفع أحمـد عمـران، منـهم مـن صدق ومنهم من اتهم سيد عبد الحق بتلفيق التهم لأحمد عمـران بعد أن عرفوا حكايته مع صـلاح الديـك ، ومنـهم مـن صمـت، وأصبح النـاس مـرة أخـرى كمـا كـانوا أيـام غريـب، جـزءا مـع وجزءا ضد. وأحمد عمران يحاول أن يجمـع الأدلـة التـي تثبت كذب سيد عبد الحق فشغل نفسه بـالبحث خلفـه ليضبطـه متلبسـا ولكنه فطـن لذلـك ولـم يـتردد علـى مـنزل الديـك، وتـرك أحمـد عمـران عملـه نـهائيا لـيراقب سـيد عبـد الحـق وأصبـح كلاهمـا يراقب الآخر لإقامة الدليـل، ولـم يعـد لديـه الوقـت حتـى ليحلـق لحيته. وإنما أقنع نفسه أنه لابد من مراقبة سيد عبد الحق طـوال اليوم. وأهمل أيضا زراعة أرضه، لانشغاله بالبحث خلـف سـيد عن دليل لكي يتمكن من نقل سـيد عبدالحـق، فلـم يسـتطع إقامـة الدليل، وحاول أن يجمع توقيعات أهل القريـة برغبتـهم فـي نقـل سيد عبدالحق ، فخاف الناس ووجد كل منـهما الآخـر عقبـه فـي

طريقه ولابد أن يختفي الآخر كي يعيش، وزاد التوتر وقرر أحمد عمران أن يخوض المعركة بمفرده وأرسل شكواه فاستدعيا للتحقيق .

س : يقول سيد عبد الحق إنك تحاول طرده كي تسيطر على القرية؟

ج : كاذب، فليس في القرية ما يجعلني أطمع فيه.

س : يدعي سيد أنك تسلمت مدفعا وتخبئه في مكان مجهول ؟

ج : لماذا لم يقبض على عندما رآني أحمل المدفع؟

س: يقول سيد إن محمد محمود كان في سلاح المدفعية و يشك في أن يكون هو مصدر هذا المدفع؟

ج : لو كل من خدم في الجيش هرب سلاحه ما تبقى سلاح.

س: يقول سيد عندما واجهناه باتهاماتك بخصوص زوجة الديك: إن ما يربطه به هي علاقة محبة وصداقة، وإنه سيقاضيك على هذا الاتهام الذي لم تقم الدليل عليه؟

ج : لدي شهود ، ثم لماذا عندما اتهمني هو بالمدفع أصبح مصدقا وعندما اتهمته القرية لم تصدقنا ؟

س : هل تريد أن تعمل مخبرا سريا في قرية الداير البحري؟

ج : لا .

س : متى ستسلم المدفع؟

ج : عندما أعرف من أين جاءني.

س: ما قولك في اتهام سيد لك بأن وراءك من يحركك مثل الدكتور منصور عبد الرحمن وآخرين؟

ج : لم يحدث.

س : متى تسلم المدفع ؟

ج : عندما يتم نقل سيد والعودة بغريب، فربما يشهد غريب بأنه كان يختبئ خلف سيد في تلك الليلة فيشهد أن المدفع المزعوم معدة بناء وينتهي الموضوع.

س : وهل تثق أن غريب سيشهد بهذا بعد أن كان بينك وبينه ما كان؟

ج : المهم أن أتخلص من سيد.

س : الآن تقر أنك ظلمت غريبا وأنه هو الأنسب للتجسس على القرية؟

ج : أقر وأعترف، أن سيد أسوأ من غريب.

س : ماذا لو تركنا القرية بدون مخبرين؟

ج : علينا أن نجرى استفتاء على ذلك.

جمعت القيادة العليا معلوماتها عن أحمد عمران بطرق أخرى، فقرروا أن يجروا استفتاء في القرية على رغبة المسئولين في ترك القرية بلا مخبرين، ولكن كان الأمر مخيبا للآمال... نسبة صغيرة أيدت هذا الاقتراح وتحمست له بشدة، ونسبة رفضت هذا الاقتراح وأعلنوها صراحة أن الأمن

سينهار، وعندما اجتمع الناس في مكان واسع وهو ميدان القرية، وقال الدكتور منصور عبد الرحمن: إنها فرصتنا أن تعيش القرية في أمان وهدوء. رد سيد القاضي الفلاح البسيط :

- لو ما كانش حد تخاف منه، مش هاتحلو النميمة.

رد أحمد عمران:

- كل واحد يعمل اللي عايزه.

قال فلاح آخر :

- لازم يكون فيه حد يخاف مننا ونخاف منه.

وبدأ القلق في القرية من عدم وجود مخبر سرى، وبدأ الناس سراً يسبون أحمد عمران وأيامه، إذ هو السبب في كل القلاقل التي ألمت بهذه القرية، وبأنه سيدفع القرية إلى الفوضى وانعدام الأمن فكان عليهم أن يتهموه كذبا حتى يقبض عليه وتعود القرية لسابق عهدها ، وذكر بعضهم بعضاً بأن القرية كانت منذ عشرات السنين في أمان، وتردد عليها كثير من المخبرين ولم تحدث أزمات مشابهة، إلى أن تم القبض عليه وأودع السجن، وعاد سيد يمارس عمله، وعاد إليه غروره وأصبح يهدد الناس علانية في وضح النهار بأن أحمد عمران ما هو إلا نموذج لمن لم يتعظ.

* * * *



١٣- القاهــرة

ص أعجبت سعدًا لعبة مختار إبراهيم وهو يحكي لـه أخبارا مثيرة يدفع بها إلى الجريدة التي بدأت تنتشر وبدأ توزيعها يزداد، وصاحبها مسرور فأغدق على سعد الذي أغدق بدوره على مختار وبدأ يشترى غالى الثياب واشترى سيارة فارتاد أماكن اللهو ليفتش عن الأخبار المدهشة.

عماد القماش، استقر في إحدى دول الخليج وعمل في أحد الفنادق وأرسل إليه أنه بدأ يتأقلم على هذا العمل. منال مندور حدثته بالهاتف تخبره أنها عادت مع أبيها من رحلة علاجه بالخارج ورجته أن يزورها لأنها تريد أن تحدثه في أمر هام.

كانت الليلة موعد لقائه مع رجل هام سوف يفتح له أبواب الأخبار على مصراعيها، إنه قواد محترف، عرفته به إحداهن عندما كانا في علبة ليل. لو رأيته لخيل إليك أنه من

علية القوم. فهو طويل القامة، بوجه أوروبي، عرف بعد ذلك أنه من أصول شامية، له ابتسامة عذبة، يحدثك في ود وينصت إليك في هدوء. بعضهم يسميه الأرنب والأخريات يسمينه الشبح، أما اسمه الحقيقي فغير معروف منه سوي الاسم الأول، مروان.. هذا الرجل له أماكن لهو بكل أحياء المدينة وله ساقطات وزبائن بعدد أحيائها، علبة ليل مسجلة باسم واحد أو واحدة، ثم يحصل على شيكات بمبالغ مضاعفة، يساوم عليها عند رغبة أي منهم البوح بالحقيقة. يتحرك بعد الثالثة ليلاً، ويمنع العاملين والعاملات أن يعرف أحدهم عنه شيئا، ولكن ميرفت أخبرت سعداً بكل شئ .

ميرفت فتاة في العقد الثالث، حاصلة على مؤهل جامعي، تخصصها في اللغة الفرنسية، وهي نفسها التي تعمل (لبيسة) لورد، المطربة المشهورة. اختارتها ورد من عشرات الفتيات لذوقها العالي في اختيار الألوان وتنسيقها. لذلك فهي تجمع بين الذوق والجمال وخفة الروح. كانت المطربة تغدق عليها نظير خدماتها فهي تنسق مواعيدها الرسمية وغير الرسمية ومنها مواعيدها مع الكابتن مختار إبراهيم والشبح. قالوا إنها مواعيد عمل، وقالوا... تعرف سعد عليها ووثق علاقته بها عن طريق ورد، عندما زارها للمرة الثانية كي يحصل منها على أخبار فعرفته بها، وتواعدا على لقاء في أحد

المتنزهات، وجاء في أبهى ملبس وجاءت في أبسط ما لديها.

قال :

- أعتقد إني محظوظ بمعرفتك.
- بتدور على أخبار؟.
- فيه جديد؟
- انت الجديد.
- إزاي .
- ما تتدلقش من أول مرة.
- دي مش أول مرة أعرفك.
- حاول تعتبرها أول مرة ، حتى بعد المرة الألف.
- يا ساتر!!! إنتي تخوفي.
- أحسن حاجة إنك تخاف، الستات يخوفوا.
- والرجالة برضه يخوفوا.
- لا ، الرجالة غلابة، مهما كبروا شنباتهم.
- أخر أخبار ورد ؟
- لا جديد، كترت من الشراب.
- ليه بتساعديني؟ ليه بتقدمي لي الشبح ؟
- عشان أنتقم منه.
- إزاي ؟
- مش قلت لك تحتاج تدريب كتير عشان تقرا اللي قدامك.

- لازم أراجع نفسي.
- أحسن برضه.

بذكاءها أدركت ما يفكر فيه ولم ترد أن توضح له لماذا أخبرته عن مخزن الأخبار، ملك تجارة الرقيق الأبيض، وحتى هو لم يهتم كثيرا. كل همه أن يعرف هذا الرجل وينهل منه أخبارا تدهش الناس فتزداد المبيعات، ويزداد هو قيمة ومالا؟، فودع ميرفت على أمل أن يصطاد هذه الفريسة الهامة. و لكن لم يستطع أن ينساها وهو في طريقه إلى البيت. فكر وقارن بينها وبين منال مندور. منال مندور جميلة ولكنها تدهشك، فهي قوية الشخصية، مباشرة، محددة المعالم، تقول وتنفذ ما تريد، أما هذه فنوع آخر.

* * *

تذكر سعد سيد النوّ عندما استوقفه أحمد المنجد عند مدخل الحارة وكان يبدو غاضبا، وألح عليه في حزم أن يوقف السيارة ويتبعه إلى داخل المحل، وانتحي جانبا وأخذ يفتش عن شئ تحت كتلة من القطن مالت عن وضعها الطبيعي ودعاه في ود أن يساعده في رفع هذه الكتلة، فلم يجد بدا من مساعدته وإن كان قد تبرم من هذا الأسلوب الذي يتبعه، فأخرج أحمد صحيفة وقلب الصفحة الأولى وأعطاها له ليقرأ وجلس على كرسيه أمام ماكينة الخياطة ولم يستطع الصبر حتى يقرأ سعد،

فأخذ يلوم سيد النوّ أنه كان يعيش منغلقا على نفسه فلم يستطع أن يمنحه هو أو أحد أهل الحارة نصيحته . و شرح له وهو يمسك الجريدة، ويقرأ كلمة ثم يقاطعه ويشرح له أن سيد النوّ ورطته عصابة تجارة الآثار، فوجب علينا أن نقف بجواره وكان يتحدث وهو جاد كأن سيد النوّ هو أحد أهله، فأكمل سعد قراءة الخبر بعد جهد وأحمد (المنجد) لا يتوقف، قال :

- إيه رأيك ؟
- هنشوف.
- إنت ما شفتش؟
- رحت بس ما عرفتش آخد أخبار.
- أنا جمعت فلوس من أهل الحارة، وهنوكل الأستاذ محامي للدفاع عنه، أتاريه مسكين وبيته فاضي، أول إمبارح مراته قالت: ما فيش في البيت غير الستر والكام قطة سيامي ممكن نبيعهم. جمعت من أولاد الحلال مبلغ معقول، عايزين همتك معانا.

* * *

ترك سعد أحمد المنجد ولم يكن في ذهنه ما قاله له ولم يكن بالفعل مهتما بسيد النوّ، وكان كاذبا عندما قال له إنه ذهب ولم يستطع الحصول على أخبار، وكان كاذبا عندما قال له إنه سيساعدهم، وكان كاذبا عندما وعد أمه وزوجة سيد النوّ بأنه

سيبذل جهداً، وراح يفكر في أحمد المنجد، الذي يشغله كل شئ في الحارة، فالذي تزوج يهنئه والذي مات له قريب أو حبيب يواسيه، الذي يقع في ورطة يبذل كل جهده لمساعدته، وهو رجل بسيط لا يتعدى أن يكون أحمد (المنجد). يرتدى ملابس العمل التي لا تتبدل إلا كل حين ، وتذكر يوم جاء ليتعرف عليهم ويعرض خدماته لهم في أول يوم سكنى ويخبرهم أن المياه تنقطع من الساعة الثانية ليلا للإصلاحات، ومع هذا فالناس في الحارة يسمونه (أحمد الحشري).

سعد يريد الأخبار، والأخبار تأخذه إلى أصحاب الأخبار وهم ليسوا غالبا من الأخيار، فأصبح كل همه كيف يستطيع أن يوسع دائرة علاقاته، كيف يستطيع أن ينتقل من ساقطة لأخرى، من وكر لآخر، من فنانة لأخرى، وصعد إلى غرفته.

لم يكن بالبيت أحد فأبوه مشغول بالبقالة الصغيرة ويقضي فيها كل وقته، وقد درب أمه على أن تتعلم فن البيع والشراء لتساعده وأصبحت حياته محصورة بين المنزل للنوم والمسجد للصلاة والبقالة للعمل، وأخوه، أصبح له عالمه بعد أن تعلم ميكانيكا السيارات، ولكنه لم يكن مستقيما فهو يبدد كل ما يكسب على نزواته، وكان أبوه مهموما له وأمه قلبها يحترق

خوفا عليه. أخته هي الأخرى لها عالمها، فقد حصلت على ليسانس الآداب قسم الجغرافيا ، وتعمل مدرسة ولكنها متمردة على عملها الذي لا تستطيع منه أن توفي احتياجاتها.

جلس يفكر في كل هذه الأمور وهو يحلل شخصية أحمد المنجد. هو أفضل منهم جميعاً، يهتم بالناس، وتشغله أمورهم ويشغلهم أيضا ،فغلبه النوم ونام نوماً عميقاً وصحا على صوت أمه وهي تدق باب غرفته بحدة.

- قوم شوف المصيبة دي ...
- خير.
- أخوك مسكته الحكومة فى الجبل، وقال ايه بيتاجر فى السلاح.
- سلاح؟! هو ايه اللي وداه للسلاح؟

قام على عجل وتبعته أمه إلى محل البقالة فوجدا أباه لا يتكلم، ويردد : حسبي الله ونعم الوكيل. ووجدا بعض أهل الحارة يتجمعون أمام المحل وعلى رأسهم أحمد المنجد.

قال أحمد المنجد:

- يا حول الله يا رب قبل ما نطلعوا من مصيبة تيجي مصيبة، الحارة دي حد اداها عين.

قالت أم سيد، وهي سيدة بدينـة، سـمراء، صوتـها يشـبه الرجال :

- أنا قلت كده برضه، تالت مصيبة خلال أسبوع.

في قسم الشرطة، قابلوا أخاه الذي أنكر الاتـهام، ولكـن القرائن كلها تدلل على تورطـه، فتـأكد سـعد أن حكمـا ًبالسـجن لابد سيصدر عليه، ولكن أباه لم يكن مقتنعا بذلك، ولم يجد احمد المنجد الذي أصر أن يصحبهما كلاما يقولـه، فأسـند ظـهره إلـى حائط وصمت على غـير العـادة، وكـان موعـد سـعد قـد اقـترب فاستأذن في الانصراف مما أغضب أباه الذي بـدوره ألـب عليـه أمه.

* * * *

١٤- رومـــا

عزيزي سعد / ...

سعدت بأنك بدأت تضع رجلك في بلاط صاحبة الجلالة و قد قرأت مقالك ، ولكني شغلت كل هذا الوقت كي أبعث إليك، فقد حدثت أمور.

الآن وبعد هذه الأعوام بدأت آلف الغرب، أحب عاداته وتقاليده، الحرية هنا يا سيدي تشعرك بالحياة، كل شئ مباح، كل شئ تفكر فيه يمكنك أن تفعله طالما لن يؤثر على حرية الآخرين. هناك مئات مما تسميه أنت في جريدتك علب الليل أو المواخير، تمارس عملها في وضح النهار وضوء الليل. إنها عقود رسمية بين اثنين ارتضيا شيئا، فلماذا نحرم هذه العقود. تستطيع أن تحترف أي عمل ولا أحد ينظر إليك نظرة دونية، مروان الذي حدثتك عنه يؤجر نفسه (مرتزقا)، للتخلص من أعداء سيدة صاحبة سطوة تجارية هنا في روما. ويسافر إلى السويد يقوم بمهام مشابهة ولا أحد يتهمه بالجنون.. لقد علمت

ذلك بعد طول كتمان من مروان وبشكل غير مباشر ... تخيل يا عزيزي لو قمنا مثلا بإدارة مشروع علبة ليل في قرية الداير البحري!! هنا يرونها تجارة ولا شئ غير ذلك. هذه الأماكن بجوار الكنائس وأنت الذي تتجه، قد تتجه إلى هذا الماخور، أو قد تدخل الكنائس أو المساجد، قد تكون شيطانا وتتحول إلى مؤمن.. لا، لا، ينقص القرية الكثير، لابد أن تتمتع بقدر من الحرية، قالت جينا:

- حدثني عن بلدك.
- هي الداير، منذ ولدت وحتى هجرتها ليس فيها جديد.
- وماذا عن الحب ؟
- قريتى لا تعرف الحب.

... أنا الآن يا صديقي في حالة مزاجية عالية، لأنني قادم من أرقى فندق في روما تملكه سنيوريتا جينا، حيث قمت بنفسي بعد أن طلبت من الطباخ أن يسمح لي بصنع أكلة شرقية، في الحديقة الخلفية للفندق، فمنذ علاقتي بسنيوريتا جينا لم تترك لي فرصة صنع طعامي. كل شئ يأتي من مطعم هذا الفندق الفاخر حتى وجدتها فرصة كي أرتدي زي طباخ وأشوى قطعة لحم على الفحم. وبعد تناول هذا الطعام الشرقي اللذيذ على موسيقي هادئة، في أضواء خافتة مع نسمات هواء عذبة، وكلمات هامسة من جينا أحسست أن الدنيا كلها ملكي،

لك أن تفخر يا رفيق الدم بصديقك الذي استطاع أن يطوع روما، من حق قرية الداير البحري أن تفخر هي الأخرى.. اسمع ما قالته لي:

- الرجل الوحيد الذي جعلني أستمتع بأنوثتي.

ابتسمت ولم أعلق، فزادت :

- سوف أذهب لأمك وأشكرها أن أنجبتك لي.
- هل هذا معقول ؟
- أنت الشرقي الوحيد الذي يعرف كيف يعامل امرأة غربية.
- إلى هذا الحد ؟
- حياتي بدأت عندما عرفتك .
- وأنا أيضا.

... مرسل لك صورة جينا حتى لا تقول إنني أتحدث هكذا بلا دليل، ولكن أرجوك أن تنظر نظرة واحدة و (ما تاكلهاش بعنيك)، وتحياتي لك ولكل من ترى أنه يستحق ذلك.

أخوك / سنيور حامد



١٥- القاهرة

هذه المرة كتب حامد التوقيع والاسم بالإيطالية ، فجلس سعد يستريح بعد الانفعال الذي كان عليه، وقرر أن يرد بخطاب يزلزله به، ليعود بعده إلى رشده فأمسك بالقلم فعلا ليكتب له، ولكن دق الهاتف وجاء صوت ميرفت :

- تعالى لي الساعة ٦، فيه أخبار.
- حاضر.

بعدها دق الهاتف ورد سعد فإذا بمنال مندور :

- هيه الندالة هيشتروها.
- عندك حق، بس عندي ظروف.
- عايزاك الساعة ٦ في الكازينو.
- إيه حكاية الساعة ٦ النهاردة ؟
- حد تاني مديك ميعاد ؟
- واحد.

- يا رب ما تكونش واحدة.

- خلاص الساعة ٨ بالليل.

كان سعد مشغولا بأخيه الذي قلب حياة الأسرة، فالأب يبدو عليه الانكسار وأمه لا تريد حتى أن تنظر في عينيه، كأنه هو الذي دفع به إلى طريق الهلاك، كأنه هو الذي قبض عليه وأسلمه للسلطات، شئ من هذا بدا له وهو يتحدث لهما قبل ذهابه إلى الموعد الذي ضربه عندما دخل على أبيه وسلم عليه فرد السلام سرا واستدار الجهة الأخرى، أما أمه فقد أعدت له الطعام وأوكلت أخته بنقله إلي الطاولة بالصالة فشرح لها في ود أنه ذهب مرغما إلى موعد، وألح في إفهامها أنه حتى لو ظل بجوار أخيه ليلة الأمس كلها لما قدم ولا أخر، فالقضية محسومة حيث ضبط وفي حوزته سلاح في سيارة ليست سيارته وفي منطقة جبلية وفي وقت متأخر من الليل، ومهما قال أخوه فلن يلتفت إلي كلامه، وأخبرها أنه من الأفضل البحث عن محام . وقال لها: إنه واثق من أن حكما سيصدر في هذه القضية والمطلوب تخفيفه، ولكنها لم تسترح لكل ما قاله وقالت :

- سايب أخوك وأبوك في القسم ورايح تجرى ورا ... ؟!

- ده شغل ، مش جرى ورا حد.

- وعملت إيه في موضوع سيد النوّ؟ ما رحتش حتى عشان تاخد بخاطر الولية، اللي جات تستنجد بيك؟

- ربنا يسهل وأروح.

خرج سعد لميعاده في السادسة مساءً ولم يكن صافي الذهن، وما هي إلا دقائق حتى حضرت ميرفت وبدأت تعرفه كيفية الدخول إلى عالم مروان ، وعرفته ببعض الأشياء المحببة إليه فهو يحب أن يناديه المقربون (بالشبح) وعرفته أنه سيسأله أسئلة مفاجئة، وحكت له علاقته بسعاد، ذات الاسم الصحفي الذائع، والتي تشاركه نشاطه والدكتورة، صافيناز زوجة المسئول الكبير. و قالت إنه هو الذي يمول حملة دعاية المطربة ورد ويمول إنتاج أشرطتها الغنائية وعرفته أنه هو الذي دفع بها لتعمل لديها (لبيسة) حتى تحصل منها على أخبار، من تحدث إليها؟ كم عدد الذين زاروها؟ قال:

- إيه مصلحتك في كده ؟

- بعدين ها تعرف. مصلحتنا واحدة.

تبدو ميرفت بالرغم من هذا الجمال غامضة، ينقصها شئ كي تكون منال مندور، ينقصها أن تكون واضحة، يختفي هنا الجمال، وتضيع معالم الوجه الدقيقة عندما يراه يخبئ الكثير، ولأنه يريد أن يقرأ الناس، يحب أن يراهم كتبًا مفتوحة، لذا كان يتمنى أن تأخذ منال مندور من ميرفت هذا الجمال

وتعطيها جزءا يسيرا من الوضوح ، فتكون هي التي يبحث عنها، وقبل أن تقوم دست إليه عنوانا مكتوبا على ورقة صغيرة وقالت:

- بعد منتصف الليل يمكنك مقابلته.

انصرفت ولم ينصرف سعد استعدادا للميعاد الثاني الذي حان وقته. فجاءت منال مندور أقل حيوية من ذي قبل بالرغم من أنها ترتدي ملابس مبهجة وترتدى كابا أحمر اللون، يضفي عليها بعضا من الحيوية، فكانت قوية كالعادة أو حاولت أن تبدو كذلك، وطلبت كأسا من (كوكتيل) مثلج، وأكمل سعد شرب القهوة التي لم يتمها، قالت :

- لسه ضيوفك ماشيين؟

- آه.

- حد أعرفه؟

- لأ .. بابا عامل إيه؟

- زي ما هو، يادوب بيحرك عينيه، وصابع من صوابعه.

ثم صمتت وبدا على وجهها حزن حقيقي وقالت :

- تعرف يا سعد أول مرة أحس إن الدنيا صغيرة قوي، أول مرة أعرف إن البني آدم ولا حاجة.

رد سعد في ود لكي يحتويها وقد تخلت عن التماسك حتى إمتلأت عيناها بالدموع:

- طبيعي البني آدم ما يبانش قوي إلا لما يكون بصحته ونفوذه وفلوسه. بابا عاش حياته بالطول والعرض، لف الدنيا كلها، وكان بإشارة واحدة الدنيا تتهز له، دلوقتي الناس كلها تبص له بعين الشماتة أو الشفقة ما فيش حد من اللي كانوا أصحابه بيرفع السماعة ويسأل عنه.
- الكلام ده صحيح بس مش عاوز الموقف ده يضعفك عشان نعرف نخدمه.

قالها وجمع، فرأى أنها استراحت ، وطلبت منه القيام للتنزه بالمشي في جنبات الكازينو لتخفيف الضعف الذي هي فيه ولكي تروح عن نفسها فأحست بقربه منها. أما عنه فقد كان يريد أن يستمتع بقوتها وجسارتها، يريد أن يراها ضعيفة تستند إليه. فها هي تفعل ما يريد.

ثم جلسا وبعد فترة صمت. هي تنظر إلى السماء، ترصد حركة النجوم وقد زانت السماء حتى بدت كحبات الخرز البيضاء في ثوب عروس أسود على ضوء خافت. وهو ينظر إلى النيل والسفن تقطعه طولاً وعرضاً وانعكاسات الأضواء على صفحة الماء الراقصة، مع هبات نسيم الربيع كأنها ترقص لتزف عروس السماء،لا يدرى لماذا سرح إلى هذا الحد ؟، لماذا تبدل الحزن إلى هذه الرعشة الإنسانية . ولم يحاول أي منهما إيقاظ الآخر من حلمه. إلى أن مرت فتاة

صغيرة السن، جميلة الملامح شعرها كأنه قطع من الصوف المبلل بالماء. رفيعة القوام، ترتدي ملابس رثة وحذاءً متهالكا قالت له وهي تهمس، وقد ركزت عينيها فيه وبدا على وجهها الخجل:

- وحياتك يا بيه تشترى مني فل، أبوى عيان وعاوزين نجيب له فرخة.

فأفاق مما كان فيه، وكأن هذا العرس الذي كان يستمتع به منذ لحظات قد دمره جماعة من الأشقياء. لقد بدأت الصور تهتز أمام عينيه. وبدأت منال تفيق وهي تتفرس في وجه هذه الصغيرة. ولم يكن قادراً على أن يرد هذه الفتاة . فأخرج بعض المال وفرحت عندما رد لها عقد الفل، وطأطأت لتقبل يده، وقبل أن تنصرف فرحة بما أعطاه لها، كانت منال تدس في يدها بعض المال فلم تصدق أنها حصلت على هذا المبلغ وكانت في حيرة. تريد أن تشكر، تريد أن تبكى فرحًا، لا تريد أن تترك المكان إلا بعد أن تعرف من هما، ولماذا أغدقا عليها بالمال ؟ فكانت تنطلق ثم تعود مرة أخرى، ومن الحيرة تعود تهرول مرة أخرى:

- ربنا يخلي لك الهانم يا بيه ، وربنا يخليه لك يا هانم .

كان المشهد مؤثراً، ولم يشهد سعد مثله من قبل ولا يعرف لماذا صدق هذه الفتاة الصغيرة الجميلة التي يبدو على

وجهها الخجل، والاضطراب، أما منال فقد بدأت الدموع تسيل من عينيها.

اليوم يوم التجليات، يوم التطهر. نادت منال على هذه الطفلة وأعطتها العنوان ورقم الهاتف لكي تتصل بـها، ففرحت وانطلقت وتركت كل الفل الذي كانت تبيعه، فتـأكد سعد أنـه لـم يخطئ.

قالت منال وهي تدارى تأثرها بالصغيرة :

- الدنيا أسرار.
- صحيح... أنا عاوز أزور بابا ....
- البيت وأنت عارفه.
- عارف إنك زعلانة، بس والله ظروف كتير مـرت بـي بعد سفرك.
- الجرنان واخد كل وقتك... إنت مبسوط في الجرنان؟!

قال في تردد واضح ووجهه إلى الأرض:

- الحمد لله، أحسن من بلاش.

قالت بلؤم:

- هي مسلية، كل يوم واحدة شكل ومع فضيحة شكل.

قـال:

- الصحافة فن الفضايح، مهما كان الخبر فهو في النهاية خبر بيقول حاجة للناس، السياسة زي الاقتصاد، زي أخبار العهر، كله واحد.

لم تسترح لهذا الرد فصمتت، ولم يكن هو مقتنعا بما قاله كله، أو حتى لو كان مقتنعا به، فقد كان يعاني معاناة كبيرة عندما يطارد فريسة ويعاني أيضا عندما يفضحها بعد القبض عليها، تارة يقول لنفسه إن هذا عمل مقدس وتثاب عليه لأن فيه العبرة، وتارة أخرى يؤنب نفسه ويقول: أي رزق هذا الذي يقوم على فضح الناس حتى ولو كانوا أهل رذيلة ؟ ثم يعود مقتنعا بأن مقاومة الرذيلة والخيانة، منوطة بقوم من الناس هو منهم، كل هذا وهي لم تتكلم. تريد أن تقول شيئا. بدأت تمسك شنطة يدها وبدا عليها التوتر، بدأت تنقر الطاولة بيدها، قدماها تدقان الأرض دقات منتظمة وقالت :

- إنت ما سألتنيش، طلبتك ليه ؟ فاكر لما قلت لك تيجي نتجوز.
- طبعا فاكر ويومها قلت لك، لو كان حد غيرك، كنت...
- كنت ها تقول إني بنت مش كويسة.
- بالظبط ، أو على الأقل ...
- يومها فعلا لو كنت وافقتني كنا إتجوزنا.
- أفهم من كده إنك جاية النهاردة تخلعيني.

ضحك وكان يريد أن يغير هذا الجو القاتم ولكنها لم تضحك واكتفت بالابتسام :

- أنا فعلا تعبانة، ومحتارة، كل حاجة عندي بقت زي بعضها.

- الظروف اللي انت فيها مأثرة عليكي.

اقتربت منال من سعد بعد أن نقلت كرسيها، وبشكل تلقائي لم يكن يتوقعه ولم يكن قادرا على منعها. نقلت الكرسي حتى التصقت به وقالت:

- ممكن أنام على أيدك؟

قال سعد وهو في حيرة وارتباك وهو ينظر للناس في خجل:

- والناس؟

- إحنا مش بنعمل حاجة غلط، أنا فعلا تعبانة ونفسي حد ياخدني في حضنه، نفسي أهدأ، حاسة زي ما يكون عقلي هايطير وروحي هاتنسحب مني.

نامت بالفعل بنصفها الأعلى على الطاولة والتصقت بسعد، حاول أن يمنعها برفق ولكنها لم تستجب، واستسلم لها وبدأت العيون تتجه إليهما، وظن الناس أنها مريضة وكانت هي كذلك، وكان مضطرا أن يحملها لتقوم وتتكيء عليه فيخرجان.

ترك سعد سيارتها وحملها في سيارته إلى بيته وكان الإعياء باديا عليها، ودخل على أبيها الذي لم يكن قادرا على الحركة، كان يتكلم بعينيه، يبكي، يبتسم، يعترض.. كل شيء، يفعله بهما.

* * *

سعد يقود سيارته بعد منتصف الليل بساعتين والهدوء يعرف طريقه إلى القاهرة الهادرة، وكل أحاسيسه مع منال مندور، كل ما رآه هذه الليلة يقول إن الإنسان يظل إنسانا مهما كان فيه من قوة وجبروت، لم يكن يتخيل أن منال مندور صاحبة الشخصية الصارمة، سليطة اللسان ستبكي كأي امرأة، وتسيل دموعها. أصبحت منال الآن أكثر قربا من نفسه. أخذت بالفعل نقاط الضعف التي كان يود أن تأخذها من ميرفت إبراهيم. ولكن يا ترى هل هي منال الآن أم منال السابقة؟ هو يريدهما معا وقطع عليه تفكيره في منال وأبيها الذي كان اسمه يتردد في كل أرجاء الدنيا؛ ولكن سبحان مغير الأحوال، هو الآن لا يستطيع أن يقوم باحتياجات إنسان.

أوقف سعد السيارة ليتأكد من العنوان، والشارع مضاء بأضواء خافتة، وأرقام المباني ليست واضحة، الناس أغلبهم نيام، ونظر في ساعته، فإذا هي الثالثة صباحا، وفضل أن يجلس في سيارته يراقب المكان، وبعد وقت قليل بدأت خفافيش الليل في الظهور، فهذه واحدة يعرفها رآها قبل ذلك في عوامة وهي تصطحب شابة صغيرة السن، ثم تبعهما آخرون، فتأكد أن هذا هو الرقم الصحيح، وتقدم إلى الحارس الأسمر ذي الشوارب المجدولة، ضخم الجسد وقبل أن يمنعه من الدخول بادره بكلمة السر.. (قمح) فدلك الرجل شاربه

وابتسم وسمح له بالصعود إلى الدور التاسع.

يقف على باب الشقة شابان، مع كل منهما جهاز (لاسلكي)، شديدا اليقظة، مهمتهما منع الشغب والبص لمعرفة الزائرين. من الحبيب ومن العدو؟ فبادرهما سعد بكلمة السر التي كانت ميرفت قد عرفته إياها، وقضى الليلة في عش الدبابير، وفي الليلة الثانية كان له موعد مع ميرفت إبراهيم فوق ظهر العوامة على النيل لتعرفه بالشبح.

* * *

كان سعد قلقا وهو يجلس في العوامة الراسية على الشط والأضواء فيها خافتة، الساعة تعدت الواحدة بعد منتصف الليل، تجلس بجواره ميرفت إبراهيم، وقد لبست أفضل ما لديها، فبدت نجمة من نجمات هوليود، ترتدي فستانا (باكلس) أسود مطرزا ببعض البقع الحمراء على جسدها الأبيض، وللمرة الأولى يعرفها تدخن السيجار. فقد رآها قبل ذلك وهي لا تدخن، وتضع رجلا فوق الأخرى. تدخن بشراهة، ولكن بهدوء، والعاملون يلتفون حولها كالفراش،كأنها ملكة هذا المكان، ساعتها أحس بالضآلة، أحس أنه لا شيء، قال:

- أول مرة أشوفك بتدخني؟

ضحكت وقالت :

- مش قلت لك ماتعرفش حاجة، لسه لك كتير.

أحس سعد أنه كما قالت وبدأ العرق يتصبب على جبهته وأراد أن يداعبها:

- نتعلم على إيدك.
- والعلام مش ببلاش.
- للمرة الألف بتخوفيني.

قطعت حوارهما حركة غيرعادية على ظهر العوامة، وكان القادم هو الشبح كما وصفته له ميرفت قبل ذلك، فانحنى عليها في ود وقبل يديها واحدة بعد أخرى، وأراد أن يزيد فمنعته بدلال وفي ذكاء، وجلس على نفس الطاولة فقالت وهي تعرفه به:

- أشرف قريبي من بعيد، شاب ولعة ونسمة ريح لسه راجع من الخليج وله علاقات كبيرة، بناس كبيرة، له في شغلنا؟
- يعني هينفع؟
- أمال أنا جايباه ليه؟ ها ينفعك قوي.
- لما نشوف.

كان ينظر لسعد من حين لآخر، وينظر سعد إليه، كأنه يشك فيه، ويشك في مرفت ولم يحدثه بعد ذلك، كان حذرا، وأخذ يتحدث في أشياء بعيدة عما يريده سعد، في شركة النسيج ورغبة العمال في زيادة الرواتب، في مكتب الترجمة ورغبته

في إيجاد مترجمين على درجة عالية، في أشياء كثيرة، ثم قالت:

- روح يا أشرف والباشا هيكلمه.
- انتظر تليفون؟
- إبقي عدي علي.

خرج سعد من العوامة والفجر يوشك أن يؤذن له وهو لا يفهم شيئا، هذه (اللبيسة) التي انقلبت إلى ملكة فوق ظهر العوامة، وهذا الرجل شديد الذكاء يحسب كل همسة، كل كلمة، كل نظرة، كان على سعد أن يقوم بجولة أخرى من التجسس وزار نفس الشقة السابقة بالدور التاسع، وعندما دخل توجه مباشرة إلى دورة المياه يغير قدر المستطاع ملامحه،وجلس في مكان بعيد عن الأضواء، ومعه كاميرا صغيرة لا تصدر صوتا عند التصوير، وهي كاميرا حديثة تلتقط الصور في الظلام ولا تشع أي ضوء. جلس ومال على الكرسي وتصنع أنه في حالة سكر، حتى يصرف أنظار الحراس الذين يجوبون الصالة من وقت لآخر، ولكي يبدو كل شئ طبيعيا في هذه الصالة الواسعة التي يجد فيها مداخل ومخارج، يخرجن ويدخلن منها وتأتيه ضحكاتهن باهتة بعيدة، وهذا يعني أن المسافة بعيدة بينه وبينهن، وكان يلتقط كل همسة تدور في الصالة.

كل شيء يمكن تخيله يحدث في هذا المكان.. ضحكات وهمسات، النقود التي تحرقكما تحرق الأوراق، بعض أنواع الشذوذ. رجل يقوم بعد أن لعبت الخمر ويحمل حذاءه فوق رأسه ليرقص به، امرأة ساقطة تقبل أخرى ساقطة قبلات ساخنة. مجموعة منهن يمثلن الكلاب فيمشين على أرجلهن وهن يعوين، شباب ورجالة يلفون حول الطاولة وقد ربط كل منهم إحدى رجليه برباط ويجرون برجل واحدة، صيحات نسائية مختلطة بصيحات رجالية، يسمع من وقت لآخر سيئة.. إلى أن ظهر الشبح يستند على إحداهن، فدقق سعد في هذه المرأة وعاد يدقق ويدقق.. هي سمية سليم التي تطل على الناس في وسائل الإعلام، تتحدث فيعلم النفس، تتحدث في طريقة التربية السليمة، وذات مرة سمعها تتحدث عن الأخلاق، وأثر التربية في تنميتها. والتقط سعد هذه الصور بسرعة وكانت هي أغلى ما التقطه وبعدها تسلل إلى الخارج والصبح يوشك على الانبلاج، المساجد تؤذن، والشياطين تعوي داخل هذه البناية في هذا الحي الهادئ.

سعد يقود سيارته والنوم يداعب عينيه وقد استيقظت القاهرة، وهدرت ماكينات السيارات ومن حين لآخر كان يسمع عصفورا يزقزق، أو يسمع صوت طائر حبيس يشكو الظلم في إحدى (الفراندات) وهو يرسل نغماته الحزينة. رأسه يكاد

ينفجر، وتتداعى أمامه كل الصور وربما تختلط.. منال منور ووالدها وهو ينظر إليه بعينين حزينتين، ميرفت وهي تخفي أسرارا كثيرة ورغبتها في الانتقام من الشبح، وقد وصل إلى الحارة التي يسكن فيها ولم تدب الحركة بعد، فوجد أباه عائدا من صلاة الفجر وقد بدأ يستعد لفتح دكانه، فنظر إليه في حنق وحياه سعد تحية المساء فرد بتحية الصباح وصعد ليأخذ قسطا من الراحة وكان أبوه يتابعه بعينين تريدان الكلام إلى أن صعد إلى سريره فارتمى عليه.

سعد ينوي كتابة خطاب لحامد عز، ولكن اليوم يمر يتلوه آخر وقد تأخر كثيرا في الرد. فبعد أن تناول طعام الإفطار، كتب له يبثه الأشواق، وناقشه فيما كتبه له في آخر خطاب وقد مر وقت طويل، فلم يكن قاسيا ولا لينا ولا ناصحا أو مصلحا إنما كان أسلوب الخطاب ساخرا كي يصنع ألفة بينهما وكان يتوقف من آن لآخر ليفكر في أحمد عمران اقترن ذكر أحمد عمران بحامد عز فقرر سعد السفر للقرية ليراه في أقرب وقت.

نزل ليمارس عمله، فسلم موضوعا عن هذه الليلة مدعوما بالصور فسر بها رئيس التحرير ودهش لهذه الصور التي عرف منها الشبح من النظرة الأولى. ونشروا فقلبت الدنيا عليهم رأسا على عقب، وعند نشر الصور هاجت الدنيا، حيث

هذه الشخصية العامة في النهار، هائمة بالليل وهددوهم بالقتل أو إشعال النيران في الجريدة. وأطلقوا على سعد وابلا من الرصاص وهو عائد ليلا، فانقلبت سيارته ونجا من الموت وتحطمت السيارة، ومر وقت طويل وهو يتصيد الأخبار عن الشبح حتى تم القبض عليه على ذمة قضايا عديدة، وأصبح سعد يوقن بأن ما يقوم به من عمل يفيد البشر. تعرية الجريمة ربما تمنع جريمة، وأصبح فخورا بالعمل في هذه الجريدة وفي هذا القسم بالذات.

* * *

سعد يداوم على لقاء ميرفت إبراهيم التي سعدت بما حدث وفتحت مخزن الأسرار وعرفته بقصتها مع الشبح، فقد تزوجها عرفيا وقدمها لمن يريد لقاء تسهيل خدماته ومصالحه المتشعبة وكان يقوم بتصويرها في أوضاع سيئة حتى لا تستطيع الخلاص منه، وسجل إحدى علب الليل باسمها، حتى إن حاولت الحديث انتقم منها، ونشر سعد كل هذه الأخبار وكان هذا يرضيه. وفي هذه البناية التي تردد عليها متجسسا عرف أسرارا أخرى، وأصبحت الجريدة التي يعمل بها من أشهر الجرائد وبالطبع زاد راتبه وتغيرت فكرة منال عنه وهذا هو الأهم.

تعددت زياراته لمنال مندور فأصبحت عـادة، لقد تـأكد الآن أنه يحبها، هي أيضا أكدت له هذا المعنى، ليس كالمــاضي ولكن وهي في قمة الوداعة. كانـا يلتقيـان يومـا بعد يـوم، مـرة يزورها في بيتها، وأخرى يتقابلان في الكازينو.كان حديثهما لا يخلو من لحظات حـب يقتطعانـها مـن الأوجـاع، وهـي تتحدث عن ألم التجربة.. الأب والأم والأصحاب. وذات مرة قالت:

- تعرف كان نفسي في إيه؟
- كان نفسي أكون زي زينب.
- زينب مين؟
- بتاعة الورد، نظرتك كـانت هـي. أنـا شـغلتها، وهـادي لـها مرتب كويس، البنت زكية قوي.
- ساعات بتحيريني وانتي بتتكلمي كلام مش فاهمه.
- الناس بتحســدني علشـان بابـا كـان سـفير وعنـدي العربيـة، وعندي الفيلا في أحسن حتة. فاكر أيمـن زميلنـا فـي الكليـة في يوم قال لي، تعرفي يا (نوله) الناس كلها مبهورة بيكي، وكنـت فرحانـة قـوي، وبعدهـا صدمنـي لمـا قـال لـي: بنـت سفير، وعربية، وأبهـة، قلـت لـه: وأنـا فيـن؟ قـال لـي مـش مهم. قلت له مش مهم أنا مين؟
- يا ستي انتي مكبرة الموضـوع، يـا ريـت كنـت زيـك، كـل واحد يحب يشوف اللي في طبق الثاني.

أدرك سعد أنها تريد أن تقول شيئا لكن شيئا ما يمنعها، كانت تريد أن تقول كل شيء وقد اقتربا من الاتفاق على الزواج.. هذه المرة كان سعد يهيء الظروف ليطلب منها ذلك، وكانت غير مستعدة. يبدو أنها نسيت هذا الأمر، ظنها غير متحمسة ودهش فقال:

- مش باين إنك مبسوطة.
- الظاهر إني لسه تعبانة، لما الموضوع دخل في الجد، حسيت إني مش متحمسة..
- حاسس إنك عايزة تقولي حاجة. لازم تفضفضي. شكلك مش عاجبني.
- أنا ما انفعش اتجوز.
- إزاي؟
- أنا نفسي ما اعرفش، إن كنت عيانة والا معقدة، طيبة والا غدارة، غبية والا ذكية؟ أحيانا با حس إني كارهة نفسي، كارهة الناس، ومرات باحس إن نفسي أنتقم من كل الرجالة، ما ليش حالة ثابتة، وما خليتش دكاترة.. كله يقول ما فيش حاجة.. إيه اللي في يا سعد؟
- ما فيكيش حاجة زي ما قالوا الدكاترة، بس حاسس جواكي كلام عاوزة تقوليه، كل واحد عنده حاجات مخبيها ولازم تفضفضي، والا يبان الكلام ده على إنه اضطراب، على فكرة أنا قاريء علم نفس.

- أنا خايفة عليك، إنت طيب بالرغم من دماغك الناشفة، أكيد هاتقول دي مجنونة.. أنا فعلا باحس إني مجنونة بجد.

أراد سعد أن يبدو خفيف الظل، أن يطلق النكات، كي يخفف التوتر، فلم يشاهد منالا في مثل هذا الجنون من قبل،قال (نكتة) فلم تضحك، فلم ييأس وأطلق ثانية وثالثة إلى أن ضحكت وعادت منال مندور.

قال :

- حلو إني أقدر أعالج مجانين.

- طبيب نفساني حضرتك.؟

وقام سعد وقامت ولم يشربا ما طلباه من مشروبات ونبهما (الجرسون) ولكنها بهدوء أمسكت كوب الليمون الذي كانت قد طلبته ودعت هذا (الجرسون) حتى اقترب من الطاولة ورفعت الكأس إلى فمه وهو مندهش وسعد في قمة الإحراج والناس مندهشون و(الجرسون) يعتذر حتى شرب منه جزءا والناس يضحكون ومنال تضحك وسعد يضحك محرجا والعيون كلها تتبعهما وهما خارجان من هذا الكازينو وسعد يكاد يموت غيظا وخجلاً وبعد أن خرجا انطلق سعد يؤنبها على هذا الموقف قالت:

- مش قلت لك..

- خلاص، خلاص مع السلامة.

انصرف كلاهما لحال سبيله.. هو هام على وجهه في

الشوارع انتظارا لعمل متأخر بالليل، وعاد يفكر مرة أخرى في منال مندور.. ماذا جرى لها، هل هي مريضة نفسيا؟ هل صدمها مرض أبيها، من السبب في هذا التغير؟ هل هي هكذا ولم أكن أعرف،.. ربما أنا مريض، ما الذي يجعلني أرتبط عاطفيا بإنسانة مختلفة؟ أعجبتني فيها الجرأة وقوة الشخصية والصرامة الشديدة؟يبدو أنني أصبت بعقدة ابن خالتي حسين عبدالغني وزوجة صلاح الديك.. هذا خطأ.. لا صحيح.. وكاد يصطدم برجل يعبر الشارع. وأدى عمله ورجع بيته بعد الفجر ولم ينم إذ دق جرس الهاتف:

- ألو؛ أيوه يا سعد، أنا حاولت أطلب كتير كنت باطلب كل خمس دقايق.
- خير؟
- حسيت إنك زعلت، قلت مش ها أعرف أنا إلا لما أصالحك.

قال سعد في رتابة:

- مش زعلان، خلاص.
- إحلف إنك مش زعلان، واوعدني تيجي بكرة، مش هانام إلا لما تحلف وعشان أنا مجنونة زي ما بتقول أنا موافقة على اللي قلته النهاردة..
- لازم أسمع..
- وحياة..
- تصبح على خير.

١٦- روما

عزيزي سعد/..   بوناسيرا

أشواقي وأمنياتي لك بكل جميل. لماذا تتركني كل هذا الوقت دون أن تكتب إليّ، لقد اقتربنا من عام منذ آخر خطاب، الصحيح أننا جميعا مشغولون.. لقد أعجبني أسلوبك في الخطاب الذي أرسلته وأنت تقوم بدور الحكيم الذي ينصح ولا يجرح، يضحك وهو يبكي، أنصحك أن تحاول كتابة مذكراتنا ونحن صغار، سيكون شيئا جديد، بأسلوب جديد، فلم يعتد الناس أن تكتب لهم مذكرات المهمشين واقترح عليك أن تكتبها (مذكرات صعاليك).. عرفت عنك الكثير، والآن وجب أن تعرف آخر أخباري.. بالنسبة للمال فقد أصبحت أملك منه الكثير، فأنا أعمل عملا يدر على الكثير جدا، ربما نتزوج أنا وجينا باولو، قالت: إنها الآن مطمئنة وتستطيع أن تتزوجني ربما خلال هذاالعام، أهمس لك بسر.. لم تعد تهمني جينا باولو.. أوشكت أن أملها، فهي

عصبية وتريد أن تفرض على قيودا وأنا أريد أن أنطلق.. هناك كثيرات أجمل وأرق. منذ شهر تعرفت علـى روسية تقيم بايطاليا. شيء مدهش، أظن أن أحد أصابعها يساوي نساء الداير البحري، تفوق كثيرا جينا باولو. امتدت علاقاتي ببعض كبار رجال الأعمال، فأنا أتحدث الإيطالية الآن كأحد أبنائها.. انتهي، لقد تعديت حد الفقر ولن أعود إليه مرة أخرى.. سوف أرسل لك نقودا كثيرة كي تبني لي (فيـلا) مثل التي أقيم فيها في روما ليقيم فيها أبي وأمي وإخوتي، ولكن تقابلني مشكلة، فسواء تزوجنا أنا وجينا باولو أم لا، فسوف نحضر إلى مصر ونحتاج هذه الفيلا أيام وجودنا.. المشكلة هي أهلي.. أريد أن يكون أبي في مستوى الفيلا، أريده أن يكون أوروبيا في مظهره، يترك هذا الجلباب ويرتدي (بدلة) بأي ثمن، سوف أرسل له عدة (بدل) يستطيع أن يغيرها كلما شاء، أمي هي الأخرى أريدها أن تصبح (برنسيس) مثل سيدات إيطاليا، ولم لا؟ الموضوع هو المال وقد توفر.. إذاً لا يبقى إلا أن نغير هذه الثياب البالية، لنلبس ثياب الحضارة هل هذا كثير؟ أرجو أن تساعدني، وحدد النسبة التي تريدها مقابل ذلك ولن أغضب. بقى شيء واحد أريد أن أخبرك عنه، سوف أقوم بعمل بعض الفحوصات الطبية للاطمئنان،لأنني أحس بإرهاق، وهي بالطبع أشياء بسيطة لا تدعو للقلق.

أخوك . سنيور حامد عز

١٧- القاهرة

سعد ومنال يجهزان نفسيهما للزواج، هي متأكدة أن أباها الراقد على فراشه سوف يسر، وهو لا يعرف هل سيرضى اختياره أسرته أو لا؟ هو الآن أحد الذين يشار إليهم، الناس تستضيفه في الندوات. التليفزيون استضافه مرات، بدأ حتى من كان يظن أنهم أعداؤه يتوددون إليه. أخباره تصل لعلي الجمل من أسرته بالداير البحري. يريدونه أن يسحق سعدا، يحثونه أن يتفوق عليه ليحقق لهم الفخر، بدأ على الجمل يتقرب إليه وحصل على عنوان إقامته وفاجأ الأسرة بزيارة، وكانت سنوات قد مرت منذ هاجرت الأسرة إلى القاهرة ولم يأت. جاء الآن لأن اسم سعد بدأ يتردد في كل مكان وأراد أن يكون لطيفا، كأنه لا يحقد عليه، جاء يهنيء سعدا على نجاحه في الصحافة وهو يردد كلمات يفهمها سعد ويعرف أنها تنتزع من لسانه نفاقا. أبوه يعرفه ويعرف أقاربه، كلهم منافقون وسعد قد تأكد من ذلك عند أول زيارة له، أراد

بالفعل أن يشعره بالضآلة.. حتى ابنه هو الآخر بدا متعاليا على شاب ريفي جاء إلى القاهرة حديثا وسكن حيا شعبيا، سعد وأبوه يفهمانه ويعرفان نياته السيئة، يريد أن يقول للناس في بلدتهم، إنه صاحب الفضل عليه. هو الذي عينه في الجريدة هو الذي وجهه إلى هذا النوع من العمل الصحفي. أبرق للقرية بميعاد الزيارة ليتصلوا به على رقم هاتف سعد ليسجل كل الناس هذه الزيارة.. وقف أحمد بهلول يتحدث من تليفون في الشارع لكي يعرف كل الناس بهذه الزيارة، وانتشرت بعد ذلك شائعة أطلقها أحمد بهلول وأقاربه يقولون فيها إن سعد مسعود قد عض اليد التي امتدت إليه بالمساعدة، وأشاعوا أيضا أن على الجمل بما له من مكانة وخبرة كبيرتين، حاول أن يبقي على سعد في المكان الذي عينه فيه، ووصل هذا الكلام لسعد، فلم يكذب أو يصدق، وكان قد تواعد مع على الجمل بزيارة في الجريدة التي يعمل فيها فحاول التهرب منه. ولكن سعداً عرف أنه صحفي متواضع، غير محبوب، يقاتل حتى ينشر له مقالا صغيرًا كل شهر، ولم يكرر سعد هذه الزيارة، وذات مرة دق جرس الهاتف وكان هو على الخط، وبعد أن حياه سعد، أراد أن يبدو أستاذا فأخذ ينصحه نصائح لا قيمة لها وسعد يوافق تأدبا، ثم تطرق إلى الأسرة وسأله عنها وقال بعد الاطمئنان المصطنع:

- كنت عاوز آجي أزوركم بس ما باعرفش أدخل بالعربية، الشوارع ضيقة ومكسرة.

- حضرتك ما تجيش إلا أما يهدو الحارة ويوسعوها ويرصفوا الشوارع.

سعد وأسرته يملوهم الحزن، فقد حكم على أخيه بالسجن ثلاث سنوات، بالرغم من علمه المسبق بأن النهاية لابد أن تكون هكذا. وكانت أمه تعلق الآمال نسج الخيال. أبوه حزنه مضاعف، فهو حزين لأن ابنه قد حبس، وحزين لأن الألسن ستلوك الأسرة وكذلك شاركته زوجته هذا الرأي.. ولكن خوف سعد من تسرب خبر السجن للصحف أقلقه، وصدق حدسه، فقد استطاع أحدهم الحصول على الخبر طازجا ودفع به للنشر فقرأه وزاد حزنه.

في منتصف الشارع بالحارة ولم يكن خبر الحكم على أخ سعد قد أذيع بعد، رأى الناس يتقدمهم أحمد المنجد يرددون خبر الإفراج عن سيد النوّ بعد أن برأته المحكمة، فتصنع سعد معرفته بهذا الخبر ومر في هدوء وهو يسمع أحمد المنجد يقول إنه يريد أن يقيم حفلا بمناسبة خروج سيد النوّ من الحبس وتعجب من أحمد المنجد وسلوكه وغبطه على ذلك، فسيد النوَ ليس من الذين يتمتعون بالسطوة أو المال، ليس من الذين يشاركون الناس أفراحهم وأحزانهم، فقد كرّس حياته لنفسه

ولزوجته وأعطي منها جزءا للقطط، ولكن عندما تناقش مع أحمد المنجد بعد ذلك قال أحمد المنجد:

- ابن الحتة، واحنا مش عارفين ظروفه إيه؟
- بس ده واخد جنب.
- المهم إنه كافي خيره شره، وما آذاش حد، يبقى له حق علينا.

تدخل أحمد الحمش وقد سمع كلام أحمد المنجد وقال:

- الأسطى أحمد ابن بلد وبيحب الناس ويحب يخدم الناس ياريت الحارة فيها اتنين زيه، الناس كلها يا الله نفسي، ما بقتش الناس زي الناس.

فهم سعد من كلام أحمد الحمش أنه ليس هو الشخص الثاني الذي يريده للحارة، فلن يستطيع أن يكون أحمد المنجد.

* * *

على المقهى كانوا يجلسون في وقت مبكر من النهار، في العاشرة تقريبا وقد اختار سعد هذا الميعاد ليقابل الكابتن مختار ويتحدثان في الجديد، حيث الجو يعمه الهدوء والمعلم حسنين، صاحب المقهى غالبا لا يأتي إلا مساءً، فوجد الأستاذ محمد عبدالله، قد سبقه إلى المقهى، فحياه ودخل وسلم عليه بحرارة وجلس سعد إلى طاولته بدعوى منه ليخرج جزءاً من مخزونه، وأخذ يتحدث كثيرا جداً.. في التعليم، الصحة، بعد أن

انهال على وزير الصحة بقسوة وأخرج من جيبه بعض الحبوب وشكا من أنها لا تستطيع أن تعيد إليه الشباب وشكك في فاعليتها وقال:

- زمان كانت الأدوية بتعمل مفعول.
- دلوقت مفعولها أحسن عشان التطور.
- يا عمي دول بيضحكوا علينا.
- العيب مش في الدوا.
- تقصد إني عجزت؟ الصبح كنت لابس شورت وباجري في الشارع، وفيه بت عندها عشرين سنة بتبص لي وهاتاكلني قلت لها: كان زمان..

ضحكا هذه المرة من القلب وقد غفرت له خفة الروح ثرثرته، ودخل مختار فسلم عليهما واستأذناه للانزواء على احدى طاولات المقهى المعزولة، وما كادا يبدآن حتى دخل المعلم حسنين على غير العادة يثير زوبعة وضجيجا، ولم يرد أن يتركهما، فأدار الراديو على صوت مرتفع آمرا أحد العاملين بصنع القهوة. وبعد أن حياهما أخرج من درج مكتبه العدد الصادر من الجريدة المنشور فيها حكاية الشبح ولوح به عاليا كي يشد انتباه سعد وقال:

- ضربة معلم يا أستاذ، تسلم إيديك، بس خلي بالك الناس دى نابها حامي.
- ربنا يستر، وحياتك وطيّ الراديو شوية.

- يا عم حد يكره الفرفشة، ماشي، حاضر.

قال مختار:

- إنت دخلت عش الدبابير بموضوع الشبح، أنا كان عندي أخبار عنه، بس ما رضيتش أقول لك عليها، مين اللي قال لك؟ ومين اللى حطك في سكته، ده زي التعبان.
- أنا مش خايف، أي حد بيعمل حاجة غلط يبقى جبان.
- فيه ناس بتعمل غلط بالإجرام.
- برضه مش هاخاف، عندك حاجة؟
- جيب السبع ما يخلاش.

قام سعد ومختار خارجين وودعا أحمد محمود، وذهب سعد إلى الجريدة، فوجد رئيس التحرير يروح ويجيء في الغرفة، ويضرب كفا بكف، ينتظره على أحر من الجمر، وباقي العاملين يبدو عليهم القلق والوجوم، فدخل سعد يفتش في وجوههم وتقدم إليه صاحب الجريدة معتذرا وقال:

- أنا آسف يا سعد، خدوا اسمك وعنوانك.
- إيه؟
- مين؟
- حد من طرف الشبح بعد التهديد.
- وأنا وراه، وهاجيب أدلة وإن شاء الله مش هايخرج من الحبس، لأن له علاقات مشبوهة وهاعرف أتعامل معاه.

- ناخد تهديده بجد، رأيي تأخذ أجازة وتسافر، مش عاوز أخسرك وأخسر الجريدة.
- كده من أول مواجهة؟

لم يستجب سعد لرجاء رئيس التحرير بعد الرسالة التي وصلته فاعتدى أحدهم عليه وأصيب ببعض الكدمات، وقام أحدهم برمي خطاب تحت عقب الباب في دكان والده مهددا بالقتل أو الحريق، واتخذ سعد الإجراءات القانونية، وبدأ التحري، وزاد التحدي وزاد التهديد وانضمت صحف أخرى لسعد في حملته ضد الشبح، فكتب على الجمل موضوعا عنوانه (بالقانون) تحدث في أمور عامة، واتصل بسعد يوهمه أن المقال مناصرة له في حملته من التهديد. وقدم الشبح للمحاكمة، فحقق سعد شهرة لم يكن يحلم بها في أي فرع من فروع العمل الصحفي الأخرى.

ميرفت وسعد جلسا في الكازينو ذات ليلة يحتفلان بسجن الشبح، وكانت في قمة الأناقة وقد جرى الدم في البشرة البيضاء حتى أصبح وجهها جميلا، قالت:

- الآن أستطيع أن أحكي حكايتي مع الشبح ولكن ليست للنشر وأرجوك أن تعدني.
- أوعدك إني مش هانشر إلا بإذنك.
- بعد عودتنا من فرنسا وبعد وفاة أبي، ساءت أحوالنا، فقد تعثر مشروعه التجاري الذي وضع فيه ما جمعه، أمي

قالت لي: لابد أن تخرجي للعمل فخرجنا أنا وهي بعد أن فكرنا في العودة لفرنسا. ولكن كانت قد أحبت الشرق وجماله، أضف إنها وعدت أبي قبل وفاته أنها لن تسافر، فعملت في فندق شهير، فهي تحمل شهادة في الفندقة وتم تعييني أنا في السفارة الفرنسية سكرتيرة للمحلق التجاري الفرنسي، فعرفته هناك. كان يتردد على الملحق التجاري وأقام مع علاقة طيبة فأوصاني به لأسهل له البحث عن موردين في تجارته إلى أن جرني لمستنقع لم أعرف كيف أخرج منه، أنا قمت بجر آخرين.

- ما هو هذا المستنقع؟
- أذكرك بالوعد.
- أنا ملتزم، معذرة.

وأدارت ميرفت دفة الحديث في اتجاه آخر، فحدثته عن ورد التي تمر الآن بحالة نفسية سيئة، وعرفته أنها قطعت علاقتها بها بعد القبض على الشبح فلم تمر عليه هذه الإيماءات والعبارات مرور الكرام. ونقل هذا إلى الجهات المختصة بالتحقيق مع الشبح، وقطع علاقاته بميرفت إبراهيم، لقد انتهت الأخبار التي كانت تزوده بها، وكان يتابع سير الأحداث في القضية، فهو يحصل على كل جديد فيها وعنه تنقل باقي الصحف، وتفجرت أسرار خطيرة عن الشبح وعن ميرفت وكذلك عن ورد.

١٨- القريــة

في القرية أحـداث كثيرة.. علـى الجمـل مـع المحـافظ وبعـض القيـادات سـيقومون بافتتــاح مركــز شــباب بالقرية والناس مستعدون لذلك، فنشط سيد عبد الحق، يجمع الأخبار أولا بأول عن كل شيء في القرية.. أحمد بـهلول وعبدالحميد فراج نشـطا فـي كـل مجلـس يحكيـان عـن الزيـارة المرتقبـة للصحفـي الكبـير مـع كبـار رجـال الدولـة،وكيـف أنــه بسهولة يستطيع أن يتحدث للسيد المحـافظ فـي أي وقـت، وقـال أحدهم وهو الضبـع رفـاعي وهـو يكـاد يطـير فرحـا فـي دوار عائلة سعد مسعود وفي جمع كبير مخاطبـا أحـد أقاربـه، يقصـد المقارنة بين سعد وبين الأستاذ الكبـير والصحفـي اللامـع الـذي يصادق المحافظين، ورؤساء الوزارات:

- ما دعيتوش الأستاذ سعد ليه عشان يكون في الحفلة؟

رد محمود عبدالمنعم أحد أقارب سعد متجاهلا:

- حفلة إيه؟

- حفلة المحافظ والأستاذ.

- هي حفلة المحافظ والأستاذ والا حفلة مركز الشباب؟

- لولا الأستاذ، ما كانش المركز هييجي هنا، كان هيروح بلد تاني. الأستاذ كلمنا امبارح وعاوز ناس كتير تسقف.

قال محمود في سخرية:

- إن شاء الله هاروح أسقف بدل سعد.

- كنا عاوزينه يبان في حفلة زي دي.

عقب سيد نوفل طالب الهندسة، قريب سعد مسعود قائلا:

- سعد دلوقتي مش محتاج يظهر في الداير، كل البلد بتتكلم عنه، والتليفزيون بيجري وراه.

- صحيح بس الجرنان اللي شغال فيه مش مشهور.

- بكرة يبقي في أشهر جرنان.

كتب أحمد عمران:

- في عهد ترد فيه المظالم، أكتب إليكم من قرية الداير البحري فبالرغم من قربها من العاصمة إلا أن القرية تتعرض لظلم من مخبر سري صغير المنزلة لا يكاد يكتب أو يقرأ اسمه سيد عبدالحق، والحق أنه ليس اسما على مسمى، فقد اعتاد تلفيق التهم للناس حتى أصبحت قرية الداير البحري لا تتحدث خوفا من هذا المخبر، وأصبح الأطفال كأنهم خرس،

لأن آباءهم لا يتحدثون. وصار سيد عبدالحق بحق هو غول القرية. وتعلمون يا سيدي أن هذا الصمت الذي تلتزم به القرية خوفا من سيد عبدالحق سوف يعود على الأمن بمشاكل كثيرة، لأن الناس لو استمروا هكذا سينسون الكلام ويصابون بالخرس، وسيتكلف علاجهم كثيرا، والحقيقة يا سيدي أن المثل الذي يقول: (بكرة تحمدني يا طيري لما تشوف غيري) صحيح، فقد جربنا سيد عبدالحق وكان أسوأ من غريب رزق بالرغم مما فيه، لذا نريد أن يعود إلينا غريب، خوفا من تدهور حال القرية.

أمر المسئول بالتحقيق الفوري في هذه الشكوى:

س : تدعي أن القرية هادئة، ولكن هناك شكاوي لجهات عليا؟

ج : أحمد عمران.

س : ماذا تقول في حالة القرية والأمن بها؟

ج : جيدة لولا أحمد عمران.

س : هل بينك وبين أحدهم عداوات؟

ج : أحمد عمران.

س : لو كنت أنت أحد أهل القرية، هل كنت ستضيق بأفعالك؟

ج : أحمد عمران.

س : مسك جان اسمه ......

ج : أحمد عمران.

ثم استدعى أحمد عمران للتحقيق.

س : لماذا أنت الوحيد الذي يشتكي في القرية؟

ج : سيد عبدالحق هو السبب.

س : تطالب بعودة غريب على الرغم من أنك السبب في نقله.

ج : سيد عبدالحق هو السبب، جنة سيد هي نار غريب.

س : هل ستشتكي لو عاد غريب؟

ج : لو عاد غريب وكان أسوأ من سيد عبدالحق سنطالب بعودة سيد.

س : من تضمن أن يكون أفضل من سيد وغريب.

ج : لا أعرف.

وأمرت القيادة بتعيينه هو مخبرا للقرية ولم يكن فرحا بذلك ولكنه تلقى التكليف مرغما، وزفت البشرى وعمت الفرحة القرية، وخرج الناس عن الصمت، ووقف أحمد عمران يخطب في الناس وقد تجمعت القرية في قطعة أرض هي ميدان القرية فقال:

- انتهى عهد التجسس، انتهي عهد التفتيش، انتهى عهد الاتهامات الباطلة. سوف أعوض القرية عن كل ما عانته قبل ذلك، تحدثوا بصوت مرتفع، غنوا المواويل، العبوا رياضتكم المحببة، ليغن الفلاحون أغاني الزرع والحصاد، لتنشد النسوة أغنيات البهجة والسرور.

فانطلق الناس كل يفعل ما يحلو له، وأول من انطلق هو منصور الديك عدوه اللدود الذي أطلق همساته على أحمد عمران.. قال: كان زمان كذا، قالوا له: حرام عليك.. قال: اسألوا عبدالشافي، وعبد الشافي قد مات فقال منصور:

- هو عاوز الناس تقول كل حاجة عشان تمل وتموت أو تتصاب بالأمراض، لما مش هيلاقوا حاجة يعملوها وينتحروا ويستولي هو على الممتلكات.

قال أحمد بهلول وهو يتحدث علنا إلى الناس وبصوت مرتفع:

- ملعون أحمد عمران، ده نصاب، عمل حكاية ومشي غريب وعمل حكاية سيد عبدالحق، عشان يتعين بدالهم عيلتنا أكبر من عيلته واحنا أولى بالمنصب.

فانقسمت القرية إلى شيع مختلفة، ناس فضلوا أن يكونوا على الحياد حتى يروا إن كان أحمد عمران سيتغير أم لا؟ وناس دخلوا في مواجهة مباشرة معه ومنهم منصور الديك وأحمد بهلول وناس كانوا يؤيدون أحمد عمران مثل محمد محمود وآخرون لم يعجبهم لا أحمد عمران ولا الناس في القرية ولا سيد عبدالحق أو غريب رزق.. إذا شتمه أحدهم وسكت اتهموه بضعف الشخصية وبذلك لا يصلح للمنصب، لو رد على أحدهم الشتم قالوا: إنه أسوأ من كل من سيد وغريب،

وظهر منافسون جدد يتظاهرون ضده علانية حتى اضطر أن يكون أحمد عمران آخر.. أصبح أكثر قسوة من غريب أو سيد، دفع بعض الناس للسجون، تعلم كيف يدبر المكائد، كيف يداهن، كيف يتهم الآخرين بكل أنواع الاتهامات، لم يعد له قلب وطيبة أحمد عمران الذي كان ينافس العذارى في مظهره، حلق رأسه، طالت لحيته وأهمل مظهره، أصبحت نظرته حادة وقبضته قوية، تعلم كيف ينافق رؤساءه ويخطب ودهم، وكان لا يريد أن يضحي بهذا المنصب الذي كان يوما يسميه المنصب التافه الذي لا يستحق حتى النظر إليه، أصبح يبتز الناس، أبلغ عن صديقه القديم الدكتور منصور عبدالرحمن وجره إلى السجن، وثارت القرية من جديد تطالب بتغيير أحمد عمران.. وكانت القرية تستعد لاستقبال المحافظ وبعض القيادات لافتتاح مركز الشباب ووكل أحمد عمران بكتابة تقاريره عن القرية، فكتب:

** ما فيش زرع ولا حجر ما شلتوش، إضحك يا بيه، كنت باعمل مسح في الناحية الشرقية من القرية وخدتها بيت بيت، فرخة فرخة، قلت يمكن حد مخبي حاجة وسط الفراخ، عارف إن كده زيادة شوية بس ضميري مش مخلصني، مش عاوز أعرض أمن الداير البحري للخطر. المهم طلعت أفتش في بيت ولقيت فرخة نايمة، ومش عايزة تتعتع، أهشها ما فيش

فايدة، قلت لازم الفرخة دى وراها سر، مخبية حاجة، إتضح إنها فرخة مغفلة ونايمة على بيضها ومش دريانه بالمحافظ ولا هاممها الأمن. قلت لها: قومي جاتك مصيبة، حد في البلد مش عارف الظروف اللي إحنا فيها، وقومتها ورميت لها البيض بتاعها.

أحكي لحضرتك حكاية عيلة على الجمل الصحفي وجماعة سعد مسعود.. إمبارح كنت مشغول زي ما حكيت لسيادتك وبعدين سمعت ناس في الشارع كل واحد بيهتف هتاف لصاحبه وكانت هاتبقي حكاية، وتدخلت فورا وبحزم حذرتهم وكله سكت وروّح بيته، أطمن سعادتك طول ما أحمد عمران ماسك الأمن في الداير البحري هاتبقي زي الفل، ترمي فيها الدبلة ترن، دلوقتي الناس بقوا يعدوا عليّ ويدوني التحية.

* * * *



١٩ - روما

عزيزي سعد / ...   تحياتي وبعد

الأيام تمر سريعا، فمنذ وقت لم أرسل إليك ولم ترسل إليّ، حسنا فمشاغل الحياة أصبحت أقوى حتى من رابطة القربى وقسم الندم. الحقيقة أنني الآن في حالة سيئة نفسيا، فارق كبير بين هذا الخطاب وسابقه، تذكر أنني قلت لك المرة الماضية،إنني سأجري فحوصا طبية وقد حدث وفي أفضل مستشفى، وعند أفضل الأطباء، ولكن يا سعد لم نصل لسبب هذا الذي أشكو منه، وصفوا لي الأدوية المقوية، قالوا إن التدريبات قد تكون مفيدة ففعلت. أنا أحس أنني ضعيف للغاية بالرغم من أن جسدي كما هو، لا وجود لمرض السكر أو الضغط، لا وجود لميكروبات أو فيروسات غير عادية، فحص سيكولوجي أجريت، كل ما تسمع عنه من تحاليل وأشعات.قمت بعمله. النتيجة لا شيء، لا أتحسن، أحس بالهزال الشديد ولم

أستطع أن أعلن هذا بالذات أمام جينا باولو، وبالرغم من تكتمي حالتي المرضية فقد عرفت، أتهرب من جوسيفينا، لا أستطيع أن أفعل ما كنت أفعله قبل ذلك وأصرخ في الأطباء وألعنهم فهم كاذبون ولا يعرفون.. كل الذي يقولونه إنني أعاني ضعفا عاما وسأتحسن ومنذ فترة ولم أتحسن، بل حالتي تزداد سوءا.. صرفت كثيرا مما ادخرت وقد صرفت النظر عن بعض تطلعاتي الماضية، لن أستطيع أن أرسل لك نقودا لتبني لي هذه (الفيلا)، ربما بعد أن أتماثل للشفاء، لقد مر عامان تقريبا وأنا في هذه الدوامة. بدأت أعاني احتقانا باللوزتين لا يبرأ، بدأت رئتاي تتأثران بأقل تيار هوائي، فأصاب بالسعال. قلت للأطباء: ربما تكون أعراض الدرن (السل) قالوا: لا. ربما يكون التهاب اللوزتين قد أثر على رئتي قالوا لا.. والشيء الذي يلفت الانتباه يا صديقي أنني لم أعد أرى هذه البلاد كما كنت أراها قبل ذلك. عندما مرضت بدأ كل شيء يختلف. لم أعد قادرا على العمل الخطر الذي كنت أقوم به. وكنت أكسب منه مبالغ طائلة. فاستغنت عني جينا باولو وبحثت عن آخر في العمل وصرفت النظر عن الحب والزواج وذكرتها بوعودها الماضية فقالت عندما تعود كالماضي.. جوسيفنيا الأخرى اعتذرت بأسلوب رقيق وأعرف أنها كاذبة.. المشكلة أنني لا أعرف نهاية لهذا الموضوع. بدأت أشتاق لدفء الشرق، أبحث

عن محمود الحموي وأبي مازن أو أي مازن، ولكن لا أجد.. أريد أحدهم أو إحداهن يقول لي (سلامتك) حتى لو كان كاذبا. اشتقت لأبي وأمي وإخوتي، كنت مقصراً في حقهم كل هذه المدة، كنت أرى أنني أصبحت شخصا آخر، من عالم آخر، لن يشتاق إلى هذه القرية الهزيلة الفقيرة بكل من وما فيها. صدقني أنا الآن كل أمنياتي أن أكون في هذه القرية. كل ما أريده أن تمتد يد أمي الجافة لتمسح على شعري، أو أسمع صوت أبي يزعق في حماره غاضبا، فقط أريد أن أسمع صوته.. حتى أصوات الحيوانات في القرية باتت شيئا محبا لي.. لا تقل يا صديقي إنني أبالغ، فلو كنت أبالغ لما كتبت إليك، ولكن مشاعر حقيقية أردت أن أكتب عنها لأحد.. أي أحد. فلم أجد سواك. من كل قلبي أبعث لك تحياتي وتحية لتراب الداير البحري، وأرجوك أن تذهب إلى أبي وأمي وأخوتي حاملاً لهم هذا الخطاب الخاص بهم والمرفق مع خطابك واطلب منهم السماح ومزيداً من الدعاء.

أخوك / حامد عز



٢٠ - القاهرة

زلزل سعدا خطاب حامد عز، فتمنى لو كان يعرف كيف يذهب إليه، كيف يساعده، كيف يخفف عنه هذه الآلام النفسية القاسية، كيف يستطيع أن يقف أمامه وجها لوجه ويزعق فيه بقوة ويؤنبه على ما فعل في حق نفسه. ماذا جرى له وأي مرض هذا الذي ألم به؟.. وكيف لم يستطع الأطباء علاجه في بلاد الطب.. ربما الغربة؟ ربما!..

كل من قابله سعد هذه الليلة قرأ له خطاب حامد عز.. أسرته، منال مندور، مختار إبراهيم. كلهم قالوا إنه يعاني ضعفا نفسيا، كلهم قالوا إنه سيبرأ إلا أمه التي بدا عليها الحزن، كأنها تعرف الحقيقة.

قالت منال:

- عندي فكرة.

- إيه هي.

- نزوره في روما، ونقضي شهر العسل هناك.
- بس.. ..؟!
- ما فيش فرق بيني وبينك. احنا كنا هانروح باريس.. نـروح روما.. عشان ربنا يبارك في جوازنا.
- عسل إيه وبابا عيان؟
- بابا عنده اللي يخدمه، وأنا ما باعملش حاجة.
- على الأقل بيشوفك كل يوم.
- بابا مش عاطفي زي ما إنت متصور. بابـا لـف الدنيـا كلـها وهـو اللـي بيلـح علـيّ عشـان أتجـوز والحكايـة كلـها شـهر ونرجع، وعلى فكرة بابا إمبـارح مسك القلـم بـإيده الشـمال وكتب.. صحيح الخط مش كويس بس كتب كلمتين فهمتهم.
- حاجة جميلة. كتب إيه؟
- كتب.. سعد كويس.
ربنا يكرمه..
- إحنا مش هنعمل فرح والا كلام من ده.
- فكرة كويسة عشان بابا.
- ها نكتب ونسافر على طـول، منـه نوفـر وقـت ومنـه نوفـر فلوس.

بعد وقت كانت أسرة سعد بين الرفض والقبـول، نظـرا للظروف داخل الأسرة بعد حكايـة أخيـه ومـع اقـتراب الإفـراج عن أخيه. وافقـت أسـرته شـرط أن يؤجـل هـذا الحفـل لمـا بعـد خروج أخيه من السجن، وبعـد خروجـه بيـوم واحـد كـان حفـل صغير في عوامة على النيـل، قضيـا وقتـا يجوبـان فيـه الميـاه، يحاولان أن ينسيا الأحزان.

* * * *



٢١ - القرية

ق قرأ سعد الخطاب الذي أرسله حامد لعزالدين البربري، وهو جالس على مقعد من جريد النخل صنعه بنفسه، وتحلق حوله باقي أفراد الأسرة.. الأم ضمرت عظامها وضعف بصرها. الأب يحتفظ بجزء من قوته وصلابته، وإن كان جلد اليدين والرقبة قد تهدل، وأصبح سعد يلحظ رعشة يديه المستمرة، ولكنه بدا واثقا من أنه عزالدين البربري، كما كانوا يسمونه (الدبابة)، أما أخواته الثلاث روحية وآمال وزينب فقد تقدمن في السن، واحدة منهن تزوجت والأخريان ليس بعد.قالت أم حامد وهي تخفي صدغيها بيديها وتمعن النظر في الأرض.

- حامد في ورطة.

ردت روحية وكادت تبكي:

- يا حبيبي .. لازم فيه حاجة.

زجرتها أمال بعنف وقد بدت قوية شامتة:

- يستاهل، توه فاكر يبعت جواب، من يوم ما سافر مافكرش فينا.

- حرام عليكي ده في غربة وما حدش عارف إيه حكايته.

- لما حس انه عيان بعت لنا، ما احنا ياما عيينا.

- إحنا عيينا وكنا لاقيين حد جنبنا.

- اللي مش في بلدي مش والدي.

- جبتي منين القسوة دي كلها..؟

- اللي اداهاني، اداهاني!!

عز الدين البربري جلس صامتا والأم تتململ من بناتها، يهش عز الدين الذباب الذي يهاجم سعدا، يهشه بمهشة من سعف النخل، ولكن سعدا أدرك في عينيه دموعا حبيسة في كبرياء، فهو يريد أن يبدو قويا وجاء الفرج عندما قال لهم سعد إنه سيسافر إليه قريبا، فقام الأب وقبل رأسه، ورفعت الأم يديها تلهج بالدعاء وأشرقت وجوه أخواته، وبكت بحرقة أكثرهن قسوة وهي تقول بصوت متقطع، متهدج من البكاء الممزوج بالفرح:

- أنا أكثر واحده أحب حامد، بس هو قاسي قوي علينا. من يوم ما سافر واحنا بنعد الأيام. ياما رحنا لعم محمود نسألوه

على جوابات، كام مرة جينا لك يا أستاذ عشان تطمنا؟ وانت تطمنا عليه، يارب هاته بالسلامة.

قالت روحية :

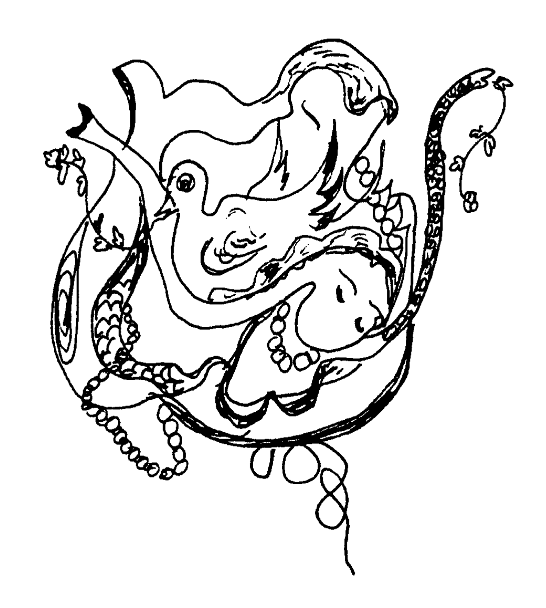
- أبوس إيدك يا أستاذ تجيبه معاك، قل له: رب هنا رب هناك.

أعجبت هذه الفكرة الأم فقالت:

- يا ابني نفسنا نشوفه قبل ما نموت، ما بقاش في العمر كتير، هايعمل إيه بالفلوس لما يرجع ما يلاقيش حد.. والا مش عاوز يرجع؟.

قام سعد والدعوات تحاصره من كل جانب، الأب يقاوم ضعفه فيقبله كي يوصل هذه القبلة لحامد ولم ينس أن يدس في يده جنيهات، قال إنه باع خروفا صغيرا بها، ويريد أن يعطيها لحامد.

* * * *



٢٢- روما

بعد أشهر من خطاب حامد عز كان سعد ومنـال فـي الطائرة قد اتفقا أن يحاولا نسيان الأحـزان، منـال فـي أبهى صورة. لـم يرهـا بـهذه الرقـة منـذ عرفـها، الـدم يتدفق في وجنتيها، تنظر إليه كما لو لم تكن قد عرفته بعد، مالت على صدره واستقر رأسها عليه وتركته يداعب شعرها الأصفر المسترسل، كأنها كانت في حرب وانتهت هذه الحرب، كأنها لم تتم قبل ذلك. أحس سعد بالطمأنينة من دقات قلبها، كانت هادئة منتظمة، ولم تستطع حتى أن تستأذنه في النوم. راحت في دعة وسكون، أحسها طفلة صغيرة، تريد من يهدهدها. وعندما زارها النوم استسلمت، لم تقاوم ولم ترد.

ناجى سعد نفسه: هل هذه هي منـال منـدور؟ إنـها قطـة صغيرة أحست بالدفء، في ليلة شديدة البرودة.. لا.. هـي، أضعف من ذلك. إنها إنسان، واستيقظت بعد ساعات لم يكن قد ذاق فيها طعم النوم واعتذرت، فهدهدها وطمأنها فقالت:

- ما كنتش فاكرة إني خيبانة كده، من أول يوم بقيت عيلة.
- أحلى حاجة إنك عيلة.
- ما كانش واجب أنام وأسيبك.
- لازم واحد فينا يحرس التاني، كان لازم أحرسك أحسن حد يخطفك.
- مش مصدقة إنك تعرف تقول كلام زي ده.
- وانا مش مصدق إنك منال مندور،.. أقول لك سر،.. أنا قلبي كان بيدق والمأذون بيقول: قول ورای.. قبلت زواجك.
- على فكرة أنا حاسب حساباتي على جوازه رسمي؟
- أمال أنا إيه؟
- ظهورات.
- وحياتك ما ها تقدر تفلت مني.
- ربنا يسمع منك.

نام سعد هذه المرة متوسدا كتفها وكأنه ينام في الجنة. أحلام هادئة، لا يحس بحركة الطائرة وهي ترتفع وتنخفض، كل شيء بدا جميلا وكأنه هو الآخر لم ينم قبل ذلك، كأنه جمع عناء السنين الماضيات وقرر أن ينام النوم المريح عنهن ولم ترد أن توقظه إلا عندما استقرت الطائرة على الأرض في مطار روما، فداعبته بأصابعها وهمست في أذنه:

- قوم وصلنا، حمد الله بالسلام

قام وهو يدعك عينيه، يلملم جسده، يلملم معطفه، يستعد للتجربة الجديدة، بين الخوف والسعادة، حتى استقر بهما المقام في فندق مع الفجر، وناما لايدريان عن الحياة شيئا.

منال تحفظ مدينة روما عن ظهر قلب فقد أقامت فيها عامين عندما كان أبوها سفيرا هناك، وسعد متشوق لكل جديد، فخرجا للتنزه بعد أن استيقظا من نوم هادىء. كانا يقفزان في الحدائق كأنهما فراشتان تتنقلان من غصن لآخر، تمتصان رحيق الحياة.. يلعبان.. يجريان. قالت: تعال نمارس الجنون. قال: لا أريد أن أفيق من الحلم قالت: لا تقلق ليس كالماضي واتكئا إلى جذع شجرة يبدو عليها القدم، فالجذع ممتلىء والأفرع كبيرة، الناس فرادي، أو جماعات فنظرت منال طويلا إلى أعلى الشجرة ونظر سعد كذلك، وقالت:

- شفت واحد طالع الشجرة دي قبل كده، والناس سقفوا له.
- يا سلام.. على إيه؟!
- تقدر تطلع مترين؟
- أنا؟!.. دى ولا تاخد مني دقيقة.
- لوجدع وريني.
- آهه.

خلع سعد حذاءه وتسلق بالفعل أكثر من مترين، ورآه الحارس فدوت صفارات في كل مكان ومنال تضحك، واجتمع الحراس من كل صوب وقد هاله ذلك، فكل شيء في الحديقة يبدو هادئا، فمن أين جاء هؤلاء. بدأ سعد في النزول مضطربا، بينما أحدهم قد أحضر مرتبة هواء وآخرون قد استدعوا الإسعاف، كانوا يظنون أنه ينتحر، وعندما نزل وهو لا يفهم كل هذا ولماذا؟ ذهب رافعا يديه، وتقدمت منال ضاحكة وقالت للحراس إنه ممثل كبير في مصر يتدرب على تسلق الأشجار للقيام بدور في فيلم جديد. واقتربت منه ضاحكة وجرى وراءها حتى كادت تقع.

تغيرت منال.. زمان كان سعد يقول لها إن الشمس تشرق من الشرق فتصر أنها تشرق من الغرب، لو قال: إن هذه شجرة مانجو كانت تقول بل هي شجرة كافور وهو لا يستطيع التمييز.. الآن كل ما يقوله هو الصواب، كل ما يريده أوامر.. كلمة نعم هي التي تتردد كثيرا، فهمس لها أنه لا يريدها أن تقول نعم باستمرار فقالت في خفة روح:

- لما تحب تتعكنن دوس زرار النكد في اليمين.
- بيشتغل إمتى؟
- في أي وقت.

كأنهما كانا في الجنة وانتقلا للجحيم عندما نزلا يبحثان عن حامد عز، ذهبا إلى آخر عنوان أرسله لسعد، فقالوا لهما إنه غير موجود، ذهبا إلى المستشفى الذي يرقد فيه، وعرفا مكانه.. ها هو هناك. أشار سعد إلى حامد الممدد فوق سرير، ملامحه تغيرت، هدّه المرض، ازدادت عيناه غورا، اللحم المكتنز الذي صدرناه إلى أوروبا أكلته. ولم يتبق سوى العظام.. دهش عندما رآهما.. لقد بهت، ظل ينظر، يدعك عينيه، يحملق، وسعد صامت ومن خلفه منال، كأن سعدا صنم وهو الراهب وما هي إلا لحظة حتى هجم عليه وبكيا وبكت لهما منال مندور.

حاول أن يتماسك. لقد كانت تجربته مع المرض قاسية، مع الفقر الذي قال يوما إنه تعداه اقسى. أنفق كل ما جمع، كان يبكي ويضحك، لقد بدا ضعيفا عما تخيله سعد في آخر خطاباته، بدا كأنه نمر من ورق في طريقه أن يحترق، ولم يصدق أنه رآه:

- ما كنتش فاكر إني هاشوف حد تاني.
- ليه كل ده؟ ما انت كويس آهه.
- مش عارف ليه؟
- الدكاترة قالوا لك إيه؟

- علاج مش جايب نتيجة أخدوا عينات بعتوها أمريكا وفرنسا وبعد يومين ها تيجي النتيجة.

حاول سعد قدر طاقته أن يساعده نفسيا، طمئنه أن لابد أن يكون هناك علاج وأكد له أنه لن يتركه إلا بعد الاطمئنان عليه. يريد حامد القيام فيعجز عن القيام بدرجة مدهشة، جلده بدت عليه تقرحات.. ما هذا يا حامد؟ لابد أنك أهملت، يحاول أن يقوم مرتديا حذائه ليبدو متماسكا أمام منال وكان سعد يتمزق له. ذهب مرح الأمس وتبدل، لم يكن يتخيل ذلك، منال عيناها ملئتا بالدموع، بالرغم من أنها لم تره في صحته بجسمه الضخم واللحم الذي يترجرج عندما يتحرك.. وعداه بزيارة وقبل أن يقوم أخبره سعد أنه نفذ وصيته بزيارة أسرته وكان يتخيل أنه سيدخل السرور إلى نفسه، ولكنه انطلق في بكاء وقال:

- يا عالم.. يارب يسامحوني، خايف ما أشوفهمش تاني.

- مش ده حامد اللي أعرفه.

خرجا من غرفته وسعد لا يكاد يرى الطريق، معدته هي الأخرى تريد أن تلفظ ما بداخلها. كثيرا جدا ما رأياه، ومنال بدت مختلفة عما كان يتخيلها سعد. كأن حامد عز هو نفسه أبوها، لا.. أكثر من هذا.. فهي لم تتأثر بأبيها هكذا.. ربما الغربة التي فيها حامد، ربما أثر عليها سعد. وقررا أن يقابلا

الأطباء المعالجين، فقالوا لهما: لا نعرف ولكنه مرض حديث ليس له علاج.

- وهل ستعرفون؟

- يومين ويصل تقرير من فرنسا، هناك عالم فيروسات شهير ربما يفيدنا.

في الغد هز سعدا الخبر، قتله ما قاله الطبيب، كاد يسقط فاستند إلى منال التي أصابها الذعر، قال وهو لا يهتم: صاحبكم سيموت.. العالم الذي عزل هذا الفيروس أخبرنا أن لا علاج لهذا الفيروس الذي يتغير ويتطور من آن لآخر، قال إن اسمه (إيدز) AIDS وعرفا أن حامد عز قد أصيب بهذا الفيروس اللعين وأنه في مرحلة متقدمة من المرض فرجا الطبيب بعد أن تمالك نفسه من الصدمة أن يترك أمر إخباره له ودخلا عليه مبتسمين وهنناه. لقد عرفا من الطبيب المعالج نوع المرض وسيعالجونه، ففرح وحاول أن يقوم ليحتضنه ولكنه وقع قبل أن يقوم، وكان سعد قد قرر العودة به إلى مصر ليقضي أيامه الأخيرة، فأوهمه أن علاجه ميسور بمصر حاول أن يقنعه بالعودة، وكان يرفض أن يعود فاشلا، بعد أن فقد المال والصحة والشباب، ويأمل أن يعالج ويعوج معافى وقال:

- أقول إيه للناس؟

- استرد صحتك وارجع تاني، وإنت بين أهلك على الأقل هاتلاقي حد ياخد باله منك.

عاد حامد إلى القرية ولكنه لم يعد حامد الذي ذهب. كان حطام حامد عز، فالتفت القرية كلها حوله وهو فرح مسرور وحالته تسوء، وسعد لم يفارقه وهو يقضي أيامه الأخيرة، فانتهى حامد وضاع المال الذي كان يسعى إليه، وضاعت المتعة التي تمتع بها، فبكاه سعد كما لم يبك أحدا من قبل.

* * * *

٢٣- القرية - القاهرة - روما

عندما كانوا يودعون حامد عز لمثواه الأخير، قابل سعدا أحمد عمران وكان زائغ العينين لا يصدق ما حدث، لا يصدق أن رفيق الدم قد ذهب، لم يصدق سعد أيضا أن أحمد عمران قد تغير كل هذا التغير، وتبادلا كلاما ليس له معنى. كانا محطمين، فرقتهما الأيام، ضاعت لحظات الصفاء، تغيرت كل الوجوه.. أصبحت باهتة، الزرع أصبح لا يميل مع دعابة الهواء. الطيور هي الأخرى صامتة لا تغرد. الأيدي تتصافح في صمت والقلوب ساكنة لا تدق، كأنها تريد هي الأخرى أن تتوقف.. أصيب سعد بالوجوم والصمت، اعتزل الناس، كان يذهب إلى عمله ومعه حامد عز، يعود إلى بيته فيجده أمامه، في الشارع يطارده شبحه، صورة أحمد عمران هي الأخرى لم تفارقه.. كل الأشياء التي تبدلت اختلطت في ذهنه.

بذلت منال مندور جهدا خارقا لتخرجه من حالة الإكتئاب التي أصابته، كانت قوية في لحظات ضعفه وتحرص بشكل دائم أن تذكره بأبيها الصلب الذي يقاتل المرض، ولا ييأس، لقد بدا تحسن في حالته الصحية يدفع الأمل لنفسه. جلس على سريره بعد أن كان لا يستطيع، فكان يذهب إلى غرفة أبيها ليتعلم الدرس، لكي يتفوق على أحزانه.

شيء ما بدأ يؤرقه، بعد وقت من وفاة حامد عز، في البداية كان يعلق ما حدث على ما مر بهما من أحداث عند سفرهما إلى روما.. لم يجد الوقت، لم يستطيعا بسبب حامد عز وهو في حالته المرضية، ارتقيا وفضلا أن يعود حامد عز ويفرح أبوه بموته بين أحضانه، لم يكن هذا الشيء هاما لهما.. قالت منال وقد بدا سعد معكر المزاج عندما فشل:

- ولا يهمك.. المهم إني باحبك
- كنت فاكر حامد هو السبب.
- ولا يهمك، بكرة نفسيتك تهدا.
- ما حدش هيعرف.

سعد ممنون لمنال مندور عن كل ما فعلته إلى درجة الخجل. دفعت المال وها هي تتنازل عن حقوقها رغبة في ألا تجرحه. عودة حامد عز ودفنه في قريته دين يدين لها به. تبدو فرحة بوجودها بجواره.. فقط وجودها إلى جواره، حتى عندما

التحقت بعمل كانت تعود وهي مشتاقة إليه، ولا يستطيع أن يثبت عينيه في عينيها وهما على انفراد، يحقق تقدما في عمله، لقد ساعدت المعلومات التي أدلى بها عن الشبح في ضبط هذه الشبكة، اكتشفوا أنه جاسوس وجر معه ورد وميرفت وآخرين. الصحف، كلها تتحدث عن سعد مسعود، أما هو فلم يكن قادرا أن يستمتع بهذا التقدم. يحاول أن يستجمع قواه، يقاوم رغبته في زهد كل شيء في الحياة، ذهب إلى الأطباء، وبعدها اقتنع أن حامد عز لن يعود، فانتفض ليقوم من جديد، أعلن إصراره وعزمه على أن يعبر إلى الشط البعيد من بحر الحياة.

النهاية

تعريف بالمؤلف

- تخرج في كلية الصيدلة عام ١٩٨٤
- من مواليد قرية أولاد يحيى بسوهاج

صدر لـه :

- النار والتار. رواية
- راقصة وعالم وأديب مسرحية
- استغاثة من أجل الوطن. مسرحية

تحت الطبع

- لون السماء القرمزي. رواية

المحتوى

صدر من مطبوعات الفجر

١	تغريبة عبرزاق الهلالي	دراما شعرية	د يسري العزب
٢	الهاموش	قصص	حسن نور
٣	المبعدون	قصص	إدريس علي
٤	حكايات مصرية	قصص	د. نجدي إبراهيم
٥	الدائرة	رواية	د. نجدي إبراهيم
٦	شجرة مريم	شعر	د. يسرى العزب
٧	تأملات في الفن والثقافة	نقد	د. محمد حسن عبدالله
٨	امسيات عائلية هادئة	قصص	منتصر ثابت
٩	شجر الليمون	شعر	خالد الشوقاتي
١٠	عصفور الحب	شعر	نجاة خليل
١١	حتى لا يطول الانتظار	قصص	محمد نور الدين
١٢	اكتب عمري	شعر	ليلى محمد علي
١٣	زائر بعد منتصف الليل	رواية	مديحة أبو زيد
١٤	خاطئة في الجنة	رواية	يحيي سليمان
١٥	النملة والحداية	شعر للأطفال	عزت زايد
١٦	واحد اتنين	شعر للأطفال	عزت زايد
١٧	المراهن	رواية	سيد أمين
١٨	فيكي ايه يتحب؟!	شعر	جلال صياد
١٩	فرس جامح	شعر	ليلى محمد علي
٢٠	حريم الملح والسكر	مسرحية	محمد الغيطي
٢١	قمر المغارب	شعر	د. يسرى العزب
٢٢	الدنيا جاية	شعر	د. فاطمة الحفني
٢٣	اه يا وطن	شعر	منى عوض
٢٤	تخاريف	شعر	نبيل أبو السعود
٢٥	ليلة دافئة	قصص	فرج محمود
٢٦	ضاع الطريق مننا	شعر	عبدالحميد فرج
٢٧	بشرة خير	شعر	مجدي حمودة
٢٨	بين الضفتين	رواية	فرج محمود
٢٩	انت عنواني	شعر	منى عوض
٣٠	الشاطيء البعيد	رواية	عبدالباسط أحمد

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٩٨٣٤

زرد للطباعة والكمبيوتر